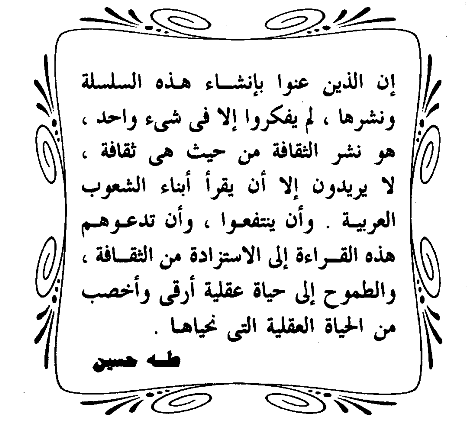
الدكتورة زهيرة البيلى

حوار الشرق والغرب

دار المعارف



إن الذين عنوا بإنشـاء هـذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربيـة . وأن ينتفعـوا ، وأن تدعـوهـم هذه القـراءة إلى الاستزادة من الثقـافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طـه حسين

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

اقرأ

[٥٨٥]

حوار الشرق والغرب

مقدمة

هذه الشخصيات التى التقيت بها هم أصحاب الفضل الأول لمادة هذا الكتاب.

هذه الشخصيات جمعتنى بها ظروف، مناسبات ورحلات لم أشاء أن تمر دون أن أتوقف عندها فى محاولة لأن أستخلص أحسن ما عندهم وأفضل ما عندى من صدق وإحساس وحرية فى إبداء الرأى واحترام الرأى الآخر.

لذا سوف يكون من السهل على القارئ إدراك معنى التواصل بينه وبين عالم الكلمة. فإن الكلمة الصادقة الحرة هى أهم ما يميز هذه الحوارات. فلم تجمعنى بهذه الشخصيات ولم تربطنى بها إلا قضية أو موقف. هذا وإن كانت الصداقة بيننا قد توثقت فيما بعد لتكون أشرف وثيقة حب أقدمها للقارئ لعله يجد ما يفيد حياتنا الأدبية، الثقافية والسياسية. آملة أن يكون هذا الجهد المتواضع مجرد إضافة لفن الحوار الأدبى.

زهيرة البيلى

في أعماق أديبة فرنسية مصرية

أندريه شديد

أديبة مصرية من أصل سورى ولبنانى، ولدت بالقاهرة عام ١٩٢٠، عاشت فى فرنسا منذ عام ١٩٤٦ وحتى الآن.

قدمت الكثير من الأعمال كلها باللغة الفرنسية، فى عام ١٩٥٧ كتبت «التطلع إلى الأرض» و «بلد مزدوج» فى عام ١٩٦٥ «كهوف وشموس» فى عام ١٩٧٩ .

عرفت روايات «أندريه شديد» بالتساؤل عن معنى الحياة والقدر عند الإنسان، فكتبت «عطاء الغفوة» فى عام ١٩٥٢ ، «اليوم السادس» فى عام ١٩٦٠ ، «الآخر» فى عام ١٩٦٢ ، «المدينة الخصبة» فى عام ١٩٧٢ ، وقد كانت للكاتبة حساسية خاصة تجاه مشاكل الشرق فقدمت «تكريم العنف» فى عام ١٩٧٦ ، وتبرز فى أعمالها كل مأساة العالم فى السلوك فى الإنسان، فكتبت «نفرتيتى وحلم أخناتون» عام ١٩٧٤ ، أما فى مجال القصة القصيرة فقد قدمت «الجلد الضيق» فى عام ١٩٦٥ ، وفى المسرح كتبت «المتباهى» فى عام ١٩٦٩ وفى الدراسات قدمت «لبنان» فى عام ١٩٦٩ ، وبالنسبة لكتب الأطفال كتبت «القلب المعلق» فى عام ١٩٨١ ، وقد حصلت «أندريه شديد»

على عدة جوائز أدبية مثل جائزة «لويز لابيه» فى عام ١٩٦٦، جائزة «النسر الذهبى» للشعر فى عام ١٩٧٢ ، الجائزة الكبرى للآداب الفرنسية من الأكاديمية الملكية ببلجيكا فى عام ١٩٧٥ ، وجائزة أفريقيا لدول البحر المتوسط فى عام ١٩٧٥ .

• فى كتابك اليوم السادس تحدثت عن مرض الكوليرا فى مصر، ثم كتبت عن «برنيس» شقيقة كليوباترا، ثم كتبت عن إخناتون. هل يمكن أن نعرف سر هذا الرباط القوى الذى يربط بينك وبين العالم العربى ؟

– إننى سعيدة بهذا الرباط الذى يربطنى بمصر، إنه رباط القلب والدم فأنا أحس أن هذا العالم يعيش بداخلى، يحدثنى، فإن وجود هذا العالم بداخلى لا يضايقنى على الإطلاق. فعندما أكون بعيدة عن مصر، أشعر بميل طبيعى وحنين إلى تلك البلاد. وأعود بذلك إلى سنوات طفولتى، لقد ولدت بالقاهرة، وعشت على أرض مصر حتى بلغت الرابعة عشرة من عمرى سافرت بعدها ولمدة ثلاث سنوات إلى فرنسا، ثم عدت ثانية إلى مصر بعد نشوب الحرب العالمية. ومنذ عام ١٩٤٦ وأنا أقيم بفرنسا أى منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

• إذن هل تعتبرين نفسك من الكاتبات الفرنسيات ، أو من الكاتبات العربيات ؟

– الحقيقة أننى أستخدم اللغة الفرنسية فى كتاباتى. ولكن طفولتى كلها أمضيتها بالقاهرة، فكيف يكون هناك انفصال بين الاثنين، لذلك

أنا أشعر أننى كاتبة فرنسية عربية فى نفس الوقت، فهناك نوع من التزاوج بين الاثنتين.

• هل قرأت الأدب العربى المعاصر ؟

– للأسف.. إن هناك تراجم قليلة عن الأدب العربى المعاصر، لقد قرأت لتوفيق الحكيم، وطه حسين، ونجيب محفوظ، وبعض القصص للدكتور يوسف إدريس، ولكنى فى حاجة لأن أعرف المزيد عن هذا الأدب. فأريد أن أقرأ لكتّاب شبان.

• هل تحدثينا عن أول عمل أدبى ؟

– لقد مارست الصحافة فى بداية حياتى، ولكن سريعاً ما أصبحت مسئولة عن أسرة وأطفال أهتم بهم وأرعاهم، ولكن لم يمنعنى هذا من الكتابة، فقد كانت الكتابة بالنسبة لى ضرورة، لذلك فقد بدأت وأنا فى السابعة عشرة من عمرى، وكنت فى ذلك الوقت طالبة بالجامعة الأمريكية، وأول ما كتبت، كان كتاباً فى الشعر باللغة الإنجليزية عنوانه «قلب فى إجازة» وأذكر أننى كتبت فى ذلك الوقت تحت اسم مستعار لأنى كنت لا أريد أن يجاملنى أحد فيقولوا إن هذه الفتاة تكتب أشياء ظريفة.

فاخترت لنفسى اسما ثلاثيًا مكونا من الحروف الأولى لاسم زوجى، ثم اسمى، ثم اسم شديد، وكان الاسم الأول هو «لاك» أى بحيرة، أما اسمى الحقيقى فكان أندريه صعب، ولم يعرف أحد صاحبة هذا الكتاب وقال الناقد إنه لابد أن الكاتب قد مر بفظائع الحرب وويلاتها،

ففى الحقيقة أننى كنت متأثرة بتلك الحروب فكتبت وعبرت، ولمدة ثمانى سنوات لم أكتب سوى الشعر ثم كتبت مجموعة من القصص القصيرة، وفى النهاية كان مجموع كتبى ثلاثين كتاباً أحدثها ما كتبته «جاك أزوار» عن حياتى.

• ماذا تقولين عن سيمون دى بوفوار ؟

– إنى شديدة الإعجاب بسيمون، فأعتقد أنها فعلت الكثير من أجل مشاكل المرأة.

وإذا أعدنا قراءة أعمالها اليوم فسنجد أنها فعلت الكثير من أجل تقدم وتطور المرأة. إن «سيمون دى بفوار» كانت دائما فى المقدمة وسباقة فى كثير من الأمور اليوم، وهذا شيء فى غاية الأهمية. وهناك كاتبات كثيرات فى فرنسا يستحققن الذكر مثل «مارجريت ديرا» و«نتالى ساروت».

• هل حققت «فرنسواز جيرو» وزيرة الشئون الاجتماعية الفرنسية ما وعدت به المرأة ؟

– لا أذكر تفاصيل معينة، ولكننى أعرف أن «فرانسواز جيرو» قدمت مشاريع كثيرة من أجل المرأة، وخاصة مشكلة الإجهاض فى فرنسا، أستطيع أن أقول إن تحرير المرأة أصبح أكيداً الآن، ولكن ما معنى استمرار الصراع ؟

إن السبب في ذلك أنه كان هناك مشواراً طويلاً أمام المرأة، ولكن على المرأة أيضاً أن تعرف ما تريد فعليها أن تفهم نفسها أولاً، إننا

نعيب على البعض الذين يصرخون عالياً فيبالغون فى الأمور يفتحون هجمات جديدة فى هذا المجال، فقد آن الأوان لكى يحدث التوازن فعلى المرأة أن تتقدم مع الرجل، وفى نفس الوقت فى هذا الطريق الجديد. مهم جدًّا أن تكون المرأة متحررة ولكن مهم أيضاً أن تكون رفيقة حقيقية للرجل، تتحدث نفس لغته، فالرجل يحب المرأة الأم التى يشعر بالراحة على صدرها وليست المرأة التى تمتلكه وتستولى عليه، إن من الغباء أن تخلق المرأة مثل هذه المعارك ضد الرجل فالأفضل أن تحاول فهمه وأن تسير بنفس خطواته، فى النهاية أعتقد أن هذا أمر صعب لأن هناك رجالاً لا يفهمون ذلك ويعتبرون المرأة منافساً خطيراً لهم.

• ما الذى يشغلك هذه الأيام ؟

– هناك أشياء كثيرة ومختلفة، أولاً أنا هنا سعيدة بالعودة إلى هذا البلد فأنا أنظر إلى كل شىء حولى وأتأمله، أما من ناحية العمل، فقد بدأت توًّا فى كتابة مجموعة قصص قصيرة تدور أحداثها بين الشرق والغرب، وغير ذلك، فالذى يشغلنى هو الحياة نفسها، فأنا جدة لطفلين.

• هل تعرفت بشخصيات نسائية مصرية ؟

– للأسف إننى هنا فى زيارة قصيرة، وليس أمامى متسع من الوقت للتعرف بالشخصيات النسائية المصرية، ولكن أمضى أغلب وقتى مع صديقات الطفولة. فمنهن المدرسات وربات البيوت، وهنا أريد أن أضيف شيئاً هامًّا، فما الذى يمنع من أن تكون المرأة ربة أسرة مادامت

هى سعيدة بذلك ومقدرة قيمة العمل الذى تقوم به، إذا فهمت المرأة أن هذا العمل غير مفروض عليها فلماذا لا تقبله، فليست هناك قواعد ثابتة تمنع المرأة من تأدية واجبها ورسالتها كأم أولا.

• هل انتهت الفلسفة الوجودية فى الأدب ؟ ولماذا ؟

– هناك موجات وموضوعات فى الأدب. كان ذلك فى الفترة بعد الحرب.

فقد كثر الحديث عن الفلسفة الوجودية، أما الآن فقد قل كثيراً، ولكن ما أتت به هذه الفلسفة من إيجابية بقى حتى الآن، ولكن لأن حديث الصحف أصبح قليلاً نقول إن هذه الموجة قد اختفت. فمثلا أخيراً كثر الحديث عن الرواية الجديدة وفى وقت ما كانت هى الأخرى موضة جديدة. ولكن بعد انتهاء هذه الموضة لا يبقى سوى الإيجابيات الهامة.

• ما هى سمات المسرح الفرنسى ؟ وهل حقيقة أنه توفى ليظهر من جديد فى إنجلترا ؟

– حقيقة إن المسرح الإنجليزى فى أوج مجده الآن، ولكن المسرح الفرنسى مر أيضاً بفترة ازدهار فى فترة ما بعد الحرب. وهى فترة عرفت بأعمال يونسكو وبكيت وشادييه. هناك مجموعة من أحسن الكتّاب ظهرت فى هذه الفترة، فقد عاش المسرح الفرنسى نوعاً من التجديد بفضل كتاب ظلوا فى طليعة المسرح الفرنسى. هناك كتّاب شبان يكتبون الآن للمسرح كتاب ليست لهم خطوط واضحة، فى

هـذه الفتـرة التى يعيشهـا المسرح يلعب المخـرج دوراً أساسيًّـا. لم يعـد البحث عـن النص الجيـد بـالشيء الهام، ولكـن الإبـداع فى الإخـراج أصبح هو الهدف، ومن المحتمـل أن يستفـاد مـن هـذه الفتـرة فى خلـق جيل جديد مـن الكتـاب، كانت أعمـال «دستفسكى» فى مقدمـة الحد من النص والتركيـز على المسرح والتعبيـر الحسى، وأعتقـد أنـه لابـد أن يعود المسرح ثانية إلى النص، فالكلمة المنطوقـة شيء أساسى فى العمـل المسرحى.

• بماذا تفسرين ظهور أفلام الرعب فى أوروبا ؟

– لقد عشت بعض هذه الأفلام ولكن فى الحقيقة كنت أغمض عينى طيلة الوقت. فأنا ضد الاندفاع فى مثل هذا النـوع مـن العنـف، وأرى أنه شيء متعب وشاق للغاية. ومن الغريب أن هناك أناساً آخرين يعتبرونه نوعاً من التهريج والتسليـة، أنـا ضد الرقابـة التى تتـرك النـاس يذهبون إلى نهاية هذا العنف. فهناك بعض الناس يحبون مشاهـدة هـذه الأفلام العنيفة مثل أفلام «العنكبوت» أو «قتال المصارعين» أمـا أنـا فـلا أحب هذه الموجة ولا أتحملهـا على الإطـلاق.

• هـل تعتقديـن فى وجـود كـواكـب أخـرى وحضارات جديـدة مختلفة ؟

– لم أكتب أبداً عن الخيال العلمى، ولم أقرأ إلا قليلاً من هذه الكتب. ولكن فكـرة وجـود حضارات أخرى على الكـواكب، فكـرة ظلت تراودنى. وأعتقد أنه شيء جائز جـدًّا، ولكنـه يفـوق مقدرتنـا أو

تخيلنا، أما عنى أنا فأفضل أن أبقى فى هذا العالم الواقعى وخاصة أن هناك أشياء فى عالمنا مثيرة أشياء عجيبة حقًا، إنه شىء هام جدًّا أن نتخيل وجود عالم آخر، حتى لا نعتقد أننا وجدنا مركز هذا الكون، وفى الحقيقة لا نكون فى النهاية سوى كرة تدور وأن هناك عشرات الملايين مثلنا. إنها فكرة لا بأس بها عن التناسب البشرى. فقد اعتاد الإنسان دائماً على الشكوى فهو يجسم مشاكله وهو لا يكون فى النهاية سوى ذرة تراب، إنها فكرة جيدة لنا جميعاً، حتى يعرف كل إنسان منا حجمه الطبيعى.

• كيف يمكن أن نحل مشكلة الجوع فى العالم ؟

– لو كنت أملك الإجابة، لحللت المشكلة منذ زمن. إنها مشكلة صعبة للغاية.

ولكن أعتقد أن المساءلة عبارة عن إعادة تنظيم، وخاصة أن العالم يكفى لاطعام كل البشر، فإن رجال الاقتصاد يعرفون جيداً الإجابة على هذا السؤال، ولكن لى رأياً خاصًّا فى المشاكل الدولية عامة، وهى أن بالحب بالحب فقط يمكن أن تحل جميع المشاكل فى العالم، فبالحب والسلام يمكن القضاء على الجوع. فإطعام فم أسهل من إزهاق روح.

• لماذا عدد الكاتبات الفائزات بجائزة نوبل أربع فقط، بينما عدد الكتّاب يزيد على السبعين ؟

– فى أوروبا نساء كثيرات يكتبن القصة، ولكنهم أقل فى كتابة الشعر والمسرح. كان عدد الكاتبات منذ خمسين عاماً أقل مما هو عليه

الآن، وأعتقد أن دخول المرأة إلى المجال الأدبى يعتبر شيئاً جديداً عليها، فالمرأة اليوم أصبحت لها شخصية مستقلة، بداخلها أشياء كثيرة تريد أن تعبر عنها، ولكن ما يدهشنى حقًّا هو ندرة الكاتبات المصريات أو العربيات، أعتقد أن سبب هذا هو أن الأدب النسائى لم يجد بعد عمقه واتساعه، فهناك ميادين ما زالت جديدة على المرأة مثل أن تكون مؤلفة موسيقى أو رسامة، هذا لأن المرة قد شاركت فى العمل الخلاق منذ فترة وجيزة، يجب ألا ننسى «جورج ساند» عندما كتبت «لاسيد» فعندما تكتب المرأة تشعر أنها تنتزع أشياء من الآخرين، أما الآن فقد تخلصت المرأة من مشاكلها النفسية، لذلك أرى أنه لكى تفوز المرأة بجائزة نوبل يجب أن نتركها لمدة عشرين عاماً أخرى.

• ماذا عن الموضة والمرأة المصرية ؟

– المرأة المصرية أنيقة، واثقة من نفسها، وجهها يشع بالبهجة والحيوية، شيء غريب حتى فى الأحياء الشعبية، ولكن ما أثار دهشتى هو ظهور بعض فتيات الجامعات وهن يرتدين الحجاب، كيف تسمح المرأة المصرية لنفسها أن تعود ثانية إلى الوراء؟ كيف تنسى تاريخها الطويل فى النضال من أجل التحرر؟

مايو ١٩٧٧

وكان الذى بيننا.. أكبر من الحب

سوزان طه حسين

لم يغب عنها لحظة.. لا بعقلها ولا بقلبها وهى تقترب من نهاية الطريق.

ذلك الطريق الطويل الذى إجتازته معه.. كان لابد من الوقوف.. حاولت الاقتراب منها أكثر.. وأن أنقل أعماقها إلى الناس الذين لم يسمعوا عنها إلا القليل، مع الأسف الكثير جدًّا إنسانة تحب.. تحدثت بمرح وبساطة بالرغم من المناسبة غير المناسبة.. ذكريات الماضى لم تغب عنها ولو بعد ثمانية وخمسين عامًا.. بأعذب وأصدق كلمات عبر عميد الأدب العربى الدكتور «طه حسين» عن حبه لسوزان شريكة حياته، ومن خلال الحديث معها عن ذلك الحب نتعرف على قصة الصمود.. أيام القحط وساعات الإشراق.. لحظات الألم والسعادة.

• هل تعدت علاقتكما الإطار الضيق للحياة ؟

– نعم.. لقد قال مرارًا ومنذ البداية أن ما بيننا شىء أكبر من الحب وأنا مع طه فى رأيه، وبكل إحساس أقول عن نفسى إننى ببساطة امرأة تحب. أحببت فيه كل شىء الجسد والروح والعقل.

• قلت عنه «الصديق الحبيب» كلمتان تنطقان بالكثير لماذا ؟

- صديقى.. نعم هذه الكلمة أقولها قبل وبعد كل شىء.. كان حقًّا خير صديق. بل هو صديقى الوحيد، فالصديق هو الكائن الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه، والصداقة التى أقصدها هنا لا تفوق الحب ولكن تندمج معه فتصبح كيانًا واحدًا، نعرف أنه توجد صداقات كثيرة لكن بدون حب فللحب أسلوب مختلف يقوم أساسًا على الثقة المطلقة. واليقين المطلق، فى حالات كثيرة لا يستمر الحب، ولكن الصداقة تدوم بصفة عامة. فالحب الحقيقى نادر وسريعًا ما ينطفئ، كم يسمع عن قصص الحب ولكن معظمها للأسف ينتهى بالفشل.

• ماذا كان يقصد الدكتور طه حسين عندما كتب لك يقول: «اعذرى أفكارى فأنا لا أفكر إنما أحب» ؟

- عندما يقول «أنا لا أفكر» فهذا يعنى أنه يكتب أحيانًا أشياء غريبة لا يحسن التعبير عنها، وأنه من المستحيل على الإنسان أن يفهم الآخر، فبداخلنا دائمًا شىء ما نحسه ولكن لأننا لا نفهمه، يصعب شرحه، كان طه من بين هؤلاء الذن لا يؤمنون بالحب. ولكن عندما أحب تبدلت حياته تمامًا.

• قال أستاذ الجيل «لطفى السيد» للدكتور «طه حسين»: من المقبول أن ينفصل الزوجان مؤقتًا من وقت لآخر لأن هذا الانفصال يحدث تغييرًا فى الحياة، فهل حدث أن عشتما تجربة مماثلة ؟

– اضطرتنى الظروف فى ذلك الوقت للسفر إلى فرنسا لمدة ثلاثة أشهر ، عاش طه خلالها بمفرده، وعندما قال له لطفى السيد هذه العبارة مداعبًا، غضب طه غضبًا شديدًا وكتب لى يقول: «لن يحدث هذا مرة أخرى». أما عن حياتنا الزوجية فلم نشعر بأننا فى حاجة إلى هذا النوع من الفراق، كان البعد دائمًا رغمًا عنا ولمدة بين ثمانية أيام وثلاثة أشهر، وقد كتبت مذكراتى «معك» من أجل الحب حتى أحيا هذه اللحظات من جديد فأكون بالقرب منه، فعندما أتحدث عنه تغمرنى سعادة عارمة، فالحديث عنه يروق لى كثيرًا.

وتضيف السيدة سوزان طه حسين لحديثها عن الحب فتقول:

– سمعت اليوم عن طريق الصدفة برنامجًا إذاعيًا يناقش فيلم «قاهر الظلام».. تحدث كاتب السيناريو عن اختياره للعناصر الأساسية للفيلم، قال إن حياة طه حسين هائلة ضخمة، هناك طه حسين الكاتب والمفكر والسياسى والمصلح والناقد، لكن الشىء الذى بدا له أكثر أهمية هو عنصر الحب فى حياة عميد الأدب العربى. وللأسف فإننى لن أتمكن من مشاهدة الفيلم فهو أمر شاق بالنسبة لى.

• «أنا قليل الإفضاء بمشاعرى، بل إننى صموت، وإننى على وعى بذلك تمامًا، لكن حدثتك عن أشياء لا تطيقين سماعها! لم أكن أعتقد على الإطلاق بقدرتى على مثل هذا الحب، وستبقى دومًا فى أعماق نفوسنا زاوية كانت وستبقى دومًا وحشية، ولا يمكن

تقاسمهـا إلا بين كائنين اثنين فقـط، أو أنهـا لم تقتسم على الإطـلاق. هذه الزاوية الوحشية هى أفضل ما فينا». كيف ؟

– المعنى المقصود هنا «الكائن الواحد».فبداخلنا جانب متـوحش ومتفرد ومتوحد لا يعرفه الآخرون، فالحيوان المتوحش هو الحيوان الذى يعيش بمفرده، يقول طه حسين إنه لا يحسن التعبير عن مشاعره وشديد القسوة مع نفسه، وهذا الجانب هو الذى يبقى دائمًا وحشيًّا، لا يمكن تفسيره، ولا يمكن التعبير عنه ولا نستطيع أن نتحدث عنه مع الآخرين، هذا الجانب لا يتقاسم إلا بين كائنين فقـط. إنـه الحب.. إنـه الجـانب أو الزاويـة الوحشيـة المتوحـدة، إنـه أحسن مـا فينـا أو أحسن مـا فى الإنسان.

• كنت دائمًا أنيقة. فكيف حرصت على ذلك أمام زوج لا يراك؟

– من المؤكد أن فكرة زوجى الذى لا يرانى كانت تضايقنى أحيانًا، ولكنى كنت قد طرحت هذه المسألة جانبًا، كان طـه يقـول لى مـرارًا: «إننى أراك»، وكان يستخدم دائمًا هذه العبـارة، يهتـم كثيـرًا بكـل مـا أرتديه، فكنت أصف له كل شىء عن ملابسى وملابس أطفالنا، أحدثه عن الألوان، كانت لديه فكرة بسيطـة عنهـا، يتخيـل كل شىء حولـه، ينتقى لى الثياب التى يفضلهـا فأرتديهـا فى المساء، كان يحب دائمًـا أن أبدو أنيقة وكنت حريصة على ذلك، أنا التى لم ترد أن يقال عنها ذات يوم «زوجها أعمى فما أهمية أن تكون غير أنيقة مـا دام لا يراهـا» فعلى العكس كنت أحاول أن أبدو أكثر أناقة مـن كثيـرات، كان طـه يهتـم

جدًّا بمظهره حتى سنواته الأخيرة، وفى الوقت الذى أصبح فيه من الصعب عليه مغادرة حجرته، كان يبدو دائمًا فى زيه الكامل، وقد قرأت أخيرًا فى جريدة إيطالية مقالاً لكاتب إيطالى مشهور يتحدث عن طه. قال: «عندما ذهبت لمقابلته فى الفندق الذى يطل على الكوبرى العتيق بفلورنسا، كان حتى النهاية فى كامل أناقته ولم يعرف الإهمال، قد أدهشنى هذا الوقار فى هذه السن بالذات»، أفهم جيدًا معنى هذه الكلمات، نعم إنه الاعتزاز بالنفس، كان هذا الاهتمام بمراعاة قواعد اللياقة يروق لى وكنت أتمسك به بقدر ما كان يتمسك هو به.

• لم يكن أمام «تولستوى» سوى أن يتنازل لزوجته عن أملاكه حتى تترك له حريته. ولم توافق حتى لا يتحدث الناس عن الكونتيسة التى هجرها زوجها الكاتب الكبير! فهددته بالانتحار، واستولت عليه بتلك المساومة الرخيصة حتى استمر فى العيش داخل قصره فى موسكو، ولكنه كتب يقول: «إن أسلوب حياتى يهدم الأشياء التى أعيش من أجلها»، كيف توضحين هذه الرسالة ؟

– سؤال صعب لا يمكن الإجابة عليه.. أولا لأننى أريد أن أقول الكثير، ثم إننى لا أملك هذه الحق، فأنا أكره أن أضع نفسى فى مقدمة هؤلاء الزوجات وسأكتفى بقول ما أحس به، لقد عشت ستة وخمسين عامًا إلى جانب طه، احسست خلالها أن هنك رسالة قد هبطت على. حقيقة إن كلمة الرسالة تعنى الكثير، ولكن هذا ما شعرت به لابد أن تقف المرأة بجانب زوجها، ولكن فى كتمام وسرية، فلم

أشأ أبدًا أن أكون فى المقدمة، وقد قال عنى البعض إننى حمقاء ساذجة، سئلت كثيرًا لماذا لا أكتب أنا الأخرى، فكنت أرد دائمًا «أفلا يكفينى أن أكون إلى جواره أعتنى به وأرعاه» وأذكر أن قالت إحداهن عن طه: «لا يعرف الحب. فهو حقًّا عبقرى نابغة إلا أنه فظ مع النساء»، وهنا ضحكت السيدة سوزان بصوت عال واستطردت تقول لقد قاومت كثيرًا هذه التيارات من الغيرة والأحقاد، هذا كله لأنه ليس مثل الآخرين.

• أحقيقة أنه كان يرى الشر فى الناس جميعًا. لماذا ؟

– كان طه واضحًا وحكمه على الناس كان غالبًا متفائلاً لا يعرف القبح. يشمئز وينفر من الأشياء الدنيئة مفضلاً الابتعاد عن كل ما هو زيف، فقد اعترف بنفسه أنه ليس كفيفًا إلى هذا الحد.. عانى كثيرًا من الشر الذى تسبب فيه بعض الناس، ولكنه لم يركز تفكيره فى هذا الأمر، وفى قرارة نفسه كان مستعدًّا وباستمرار لتقديم يد المساعدة، سخر من الشر محاولاً مقاومته ومحاربته، كانت حياته خليطًا من كل هذه الأحاسيس والانفعالات، حياته الأدبية والجامعية والصحفية هى غايته، لا يتحدث عن السياسة لأن تلك النواحى تجاوز بها السياسة التى كان يستغلها فى الكتابة ليحقق بها مطلبًا جماهيريًّا جماعيًّا، لم يكتب فى السياسة إلا عندما يتعلق الأمر بمصلحة الأمة.. كتب فى السياسة من اجل الأطفال والشباب، بل من أجل الناس جميعًا. فالمشكلة الأساسية التى أقلقته هى مشكلة الفقر.. عانى منها بلا حدود وسببت

له آلامًا حقيقة.. وقد حاول بقدر استطاعته القضاء على هذا المرض اللعين.

كما ركز جهوده أساسًا من أجل مشكلة التعليم، أراد أن يحقق الثقة والاعتزاز بالنفس عند الناس جميعًا.. وأن يجعل الكرامة الإنسانية وسيلة لحياة فى ظل مجتمع لا يعرف المنبوذين أو المحتقرين أو المرفوضين أو المستغلين، كانت هذه هى صورة الشر التى انكب على مقاومتها ومحاربتها.. كان أبو العلاء المعرى صورة للتشاؤم، أما طه فكان متفائلاً دائمًا.

• وهل حقيقة أننا لا نحيا لنكون سعداء ؟

– نعم.. لم تكن غاية الدنيا بالنسبة لطه تحقيق السعادة الشخصية، ولم يعرف الأنانية.. وكان يقول «إننا نحيا لنؤدى واجبًا أو رسالة» فالبحث عن السعادة ليس غاية كما يعتقد الكثير من الناس، والبحث عن السعادة المادية الوقتية زائل ومزيف، ولكن إذا تحققت سعادتنا من خلال الرسالة التى جئنا من أجلها، فتلك قيمة كبرى، فى لحظات حزنه ردد طه هذه العبارة «إننا لا نحيا لنكون سعداء». لم يكن دائم الشكوى أو التذمر، بل نادرًا ما يحدث هذا، فلم يشعر الآخرين بأنه «كفيف» فالناس الذين لا يعرفونه لم يشعروا بذلك، كان بداخله شيء ما ينير ويضيء على العكس من كثيرين حولنا مصابون بعمى القلب والحس.

• فى فترة ما انتقل الدكتور طه حسين من الكتابة فى السياسة للكتابة فى الأخلاق فتحدث عن النفاق، وقدم وصفًا عنيفًا ودقيقًا للإنسان المنافق، كيف ؟

- اهتم فى فترى ما بالسياسة.. كان يعتقد أنها الطريقة أو الوسيلة التى يمكن من خلالها تحقيق مطالب الأمة، أو ما يتمناه الآخرون، فلم يكن من المغرمين بتلك اللعبة الشهيرة.. كان عادلاً نظيفًا، فلم يلائمه النشاط السياسى فابتعد غير نادم وانصرف إلى الكتابة والخطابة، أحس أنها الطريقة الوحيدة للتأثير على الجماهير كما أحس أنها أكثر فاعلية من السياسة، التقى فى حياته بأشكال من المنافقين، ونحن نلتقى بهم كل يوم وفى كل مكان. وكان هذا النوع من البشر يسبب له الإزعاج والفزع. وكان شديد الحساسية ومثالاً للصدق. وكانت هذه هى أسباب تعاستنا.. أراد أن يرفع البؤس عن الناس ولكنه لم يكن قادرًا على تحقيق كل أفكاره.. كان عملاقًا لا يعرف النفاق ولكنه يعرف الكبرياء!

• وماذا عن مشكلة العزلة ؟

- مرت به لحظات مختلفة ومتنوعة من العزلة.. عندما يكون مشغولاً مثلاً بإعداد كتاب جديد. أو عندما تنتابه فكرة مفاجئة، فطيلة عمله ينفصل عنا تمامًا ويغيب فى عالم آخر، كان لا يتحدث فى البداية عما يشغله أو يقلقه، ولكنى كنت أحس وأرى ذلك على الفور فأقول «نعم هناك أشياء تشغل تفكيره»، وعندما ينتهى من عمله يعود إلى

الأرض أو يعود إلينا. وربما أننى لست ملاكًا، فقد كانت تنتابنى لحظات من اليأس ونفاذ الصبر أثور أحيانًا شاكية من المسئولية الملقاة على عاتقى. فأتهمه بالإهمال فى حقى وحق الأطفال، ولكن.. بعد أن تهدأ العاصفة أشعر بقيمة التفاهم والحب.. فلولا تلك الأحاسيس العظيمة ما استمرت حياة بين اثنين.

• «الألم الحقيقى أن تكون لدى الإنسان الرغبة ولا تكون لديه القدرة».فما هى القدرة التى كانت تنقصه وهو الذى ملك الكثير ؟

– لقد أتم رسالته على الوجه الأكمل، ولكن ما كان ينقصه هو ما كان ينتظره من الآخرين، وهو ما لم يحدث، فعندما كان يبدأ شيئًا فإنه يصل به إلى ذروته، الشىء الذى أدى بنا إلى مشاكل كثيرة، ولكن كان طه دائمًا على حق، وبالرغم من ظروفه الصعبة لم يفقد حماسه فقد مرت به لحظات الإحباط واليأس.. ولكنه يعاود المعركة من جديد، هذا ما حدث بين عامى ١٩٣٢ و ١٩٣٤ عندما أبعد عن الجامعة وكدنا نموت جوعًا..

• كانت مواقفه من دخول الفتيات الجامعة واضحة ومعروفة، هل كان لك فضل فى ذلك ؟

– كان مؤمنًا تمامًا بالمساواة بين الرجل والمرأة، لذلك كان من الطبيعى أن ينادى بدخول الفتيات الجامعة وحصولهن على نفس الفرص فى التربية والتعليم وبالتالى فلم يكن لى فضل فى ذلك على الإطلاق، لقد كانت أفكاره حرة مستقلة.

• حصل على جائزة حقوق الإنسان فى يوم ١٠ ديسمبر عام ١٩٧٣، فهل حقيقة أنه لم يكن يحب الأنواط والأوسمة والنياشين ؟

– علم بخبر هذه الجائزة قبل أن يفارق الحياة بعدة ساعات وكان هذا يوم السبت فى الساعة الخامسة مساء وتوفى فى الساعة السابعة صباح يوم الأحد التالى، كان متواضعًا يكره التكريم الوهمى الذى لا يعنى الكثير، ولم يكن هدفه الحصول على الأوسمة والنياشين.. إنما ما أراد أن يحققه هو قيمة إنسانية يعيش عليها الناس.

• هل كان يسألك عن الهدية التى تفضلينها فى عيد ميلادك؟ وما هى أول هدية قدمها لك ؟

– كانت أول هدية حافظة ورق من الجلد، أما بمناسبة عيد ميلادى فقد قدم لى لوحة عذراء لندن «لبوتشللى»، وكان يسألنى أحيانًا عن الهدية التى أفضلها.. ولكنه لم ينس أبدًا تاريخ ميلادى.. فقد كانت لدينا مناسبات عديدة نحتفل بها.. عيد زواجنا أو ذكرى أول لقاء..

• إننا نعرف «طه حسين» الكاتب والمفكر والمصلح.. ولكن كيف كان الدكتور طه حسين أبًا ؟

– كان أبًا مثاليًا مرحًا، يعامل طفليه بذاتية كاملة، فيشعر كل واحد منهما بكيانه. لم يستخدم لهجة رسمية أو متحفظة مع ولديه وكان يحدثهما على قدم المساواة. حديث الند للند.. كنا نعيش معًا علاقة حميمة حيث كان التأنيب نادرًا ومعتدلاً. وقت إمتحاناتهما كان يقول: «إذا نجحت أكون سعيدًا وإن رسبت فسأهديك هدية!» كان يحيطهما

بحنان عظيم وعندما كانت تبكى «أمينة» كان يأخذها بين ذراعيه ويغنى لها: «ياليل ياليل». هذا الجو من الثقة والحرية كان سائدًا دومًا. أما المرح فلم يكن يسوده دائمًا.. وكان ولداى يكتبان من حين لآخر، كتب «مؤنس» وهو فى الثامنة عشرة من عمره ثلاثية شعرية على نهج شعر «بول فاليرى» عنوانها: «الفجر الشاحب» و «الصباح المنير» و «الظهر العادل». أما «أمينة» ٢٢ عاما أبنة «مؤنس» فهى تدرس اللغة اليابانية كما ترجمت كتابًا من اللغة الإيطالية للغة الفرنسية.. وهى الوحيدة التى تسأل كثيرًا عن جدها. أما ابن «أمينة» ابنتى فقد اختار لنفسه طريقًا بعيدًا عن الحياة الأدبية فهو يدرس الطبيعة الصناعية النووية.

• ما سر تأثر الدكتور «طه حسين» بتغريد الكروان ؟

– كان يطرب ويفرح لتغريد هذا الطائر بالذات، فقد رافقه غناؤه حتى لحظاته الأخيرة، وكنت بدورى أهتم بهذا «الكروان» من أجل طه.. فعندما عدت هذا العام من رحلتى من إيطاليا، عاد الكروان من جديد ليملأ الحديقة بغنائه.

• قيل الكثير عن ضحكة الدكتور «طه حسين»، فماذا تقولين عن دموعه ؟

– كان طه معروفا بضحكته الخلابة الصادقة التى لا تعبر إلا عن قلب نقى.. وقد كتب «أندريه جيد» يقول فى مقدمة كتاب «الأيام» النسخة المترجمة إلى الفرنسية: «إن هذه الضحكة الصافية التى تعبر عن الصدق والتفاؤل، إنما هى حقًا شىء رائع..» أما أنا فقد تحدثت أساسًا

عن ابتسامته التى كانت تعكس الرقة الناعمة وتحمل العمق والسخرية من هذا الدنيا، كانت ابتسامته يد المساعدة، إنها ابتسامة ذات صوت مسموع.. هادئة كما لو كان يبتسم لنفسه، أما عن الدموع فمن النادر جدًّا ما بكى طه إلا فى لحظات الألم الشديدة، عند فقدان عزيز أو غال، فقد بكى كثيرًا عندما ماتت أمه.

• هل هناك جانب لم يتحدث عنه الناس فى حياة الدكتور «طه حسين» ؟

– عندما أتخيل العمل الملموس لهذا الرجل، أصاب بالدهشة. فمع كل المشكلات التى واجهها، كان يعمل بضع ساعات محدودة مع سكرتيره، ومع عدد الكتب التى ألفها، وعدد المقالات، وأعداد المحاضرات والسفر إلى الخارج وتمثيل مصر فى الدول الأجنبية أشعر حقا أنه عمل خيالى خارق، فهناك أناس عديدون يملكون كل شيء مع نعمة البصر ولكنهم لا يؤدون عشر ما قدمه طه حسين، هنا أقول هذه هى الأشياء التى لم يتحدث عنها كثيرون، كانت له مقدرة على العمل إذا قرأ أشياء فكأنما يسجل فى عقله فلا يكرر قراءته مرة أخرى، إنها حقًّا موهبة لكنه عرف كيف يستفيد منها ويستغلها الاستغلال الطيب.. شكا البعض من كثرة الحديث عن طه حسين، بينما الآخرون لم يمنحوا فرصة مماثلة، أما أنا فأقول بصرف النظر عن كونه كاتبًا كبيرًا بشهادة العالم كله، العربى والأوربى أؤكد أنه حقًّا أستاذ ومعلم.. وهنا لا أقصد فقط ارتباطه بالجامعة، ولكن أقصد كل نواحى الحياة الأخرى، فقد

اهتم بالحياة ككل.. لم يبق ساكنـا فى مكانه بـل صارع حتى النهايـة، وقد قال عنه «برت»: «كان مناضلاً»، وهذه حقيقة فلم يعرف الانطواء أو العزلـة، ولم يحكـم على نفسه بالسجـن داخـل كتـاب أو قصة أو فى البحث عن جملة، إنما اقتـرب مـن النـاس فـأحس بهـم وأحسوا بـه.. حتى أولئك الذين يجهلون أو لا يفكرون فى كل هذه المعـانى، سوف يعرفون يومًا أننى أعنى شيئًـا نـادرًا.. فى احتفـال بـه بالإسكندريـة فى عـام ١٩٧٥ بذكـرى طـه حسين، وفى أحـد قصور الثقافـة ألقى ممثـل الاتحاد الاشتراكى فى ذلك الوقت كلمة رائعة: «أينمـا ألتفت أرى طـه حسين فى كل مكـان»

• إذا كان أمامك الاختيار، فهل تعيشين نفس حياتك مرة أخرى؟

– نعم.. هذه حياة أريد أن أعيشهـا مـن جديـد.. وسوف أعيشهـا هذه المرة لكن بطريقة أحسن، خاصة بعد الاستفادة من سلسلة التجارب، فهناك أشيـاء سوف أؤديهـا بطريقـة أفضل، ولكـن لـلأسف لا يمكـن للزمن أو يعود.. هناك أشياء أتذوقها اليوم أحسن من ذى قبـل، أحسن من الوقت الذى عشتها فيه، وهذا أمر طبيعى يحدث لنا جميعًـا فنحـن لا نعيش اللحظة بعـد زوالها.

• هل توجهين كلمة للدكتور طه حسين ؟

وتضحك السيدة سوزان طه حسين وتقول :

– نعم.. أريد أن أقول له الكثير، فحـديثى معـه لا ينقطـع، أحدثـه أحيانًا بفرحة، وأحيانًا ينتابنى الحزن، وفوق كل ذلك فأنـا أحمد الله على

كل شيء.. كان يقول دائمًا إننا لا نشكر الله بما فيه الكفاية، تتملكنى لحظات الضيق فأتساءل: «لماذا أنت بعيدًا عنى؟ لماذا أعيش بمفردى؟ كتبت أشياء لا أستطيع أن أقولها لأحد.. صمت زائغ أنت وأنا، أتخلص من الضيق الذى يشلنى.. أود الذهاب نحو شيء فسيح، وبرغم توترى أتطلع نحو مدى أدراك استحالة الوصول إليه.. أنا الضعيفة التافهة، وأنظر إلى السماء فى لهفة: «تعالى! تعالى.. أنت أيضا!»

ديسمبر ١٩٧٩

ماذا يحدث لو كان ممكنًا :

نقل «مخ» مهندس.. إلى طبيب؟!

الدكتور أحمد البنهاوى

إذا نقلوا قلب زوج إلى أعزب.. فلن يجرى وراء زوجة صاحب القلب، ولو نقلوا قلب امرأة إلى رجل ما تغير جنسه، فالقلب مجرد مضخة منظمة للدورة الدموية لا يحب ولا يكره، إنه أداة من أدوات المخ لتسيير حياة الإنسان، والقلب يمكن أن يتوقف للحظات ولا يموت الإنسان، ولكن إذا توقف المخ لحظة انتهت حياته.. فالمخ هو محور الحياة بل هو الإنسان ، إنه الكمبيوتر الذى يختزن المعلومات والتصرفات والعادات ثم يعيد إرسالها فى توقيتات محددة إلى الحواس والعضلات فيتصرف صاحبها على نحو معين، وينطق بمعلومات معينة، ويستخدم يده اليمنى أو اليسرى، فإذا لم يكن لنقل القلب تأثير على شخصية الإنسان المنقول إليه، وإذا كان المخ هو الإنسان فتصور ما الذى يمكن أن يحدث لو كان ممكنًا نقل مخ مهندس يستخدم يده اليمنى إلى طبيب أعسر يستخدم يده اليسرى؟!.. علميًّا كارثة فى غرفة العمليات!! عمليًّا.. مستحيل!!

حول المخ.. وأسراره والإعجاز الإلهى فى أدائه وسيطرته على حياة

الإنسان والجديد فى العلم، كان هذا الحوار مع الدكتور أحمد البنهاوى عميد كلية الطب جامعة عين شمس وأستاذ ورئيس قسم جراحة المخ والأعصاب بالكلية وعضو اللجنة الدولية لإصابات الرأس وعضو الاتحاد الدولى لجراحة الأعصاب، والدكتور البنهاوى شاعر وجراح ينظر إلى الشعر بعقلية العالم ويمسك المشرط بإحساس الشاعر.. فنحن نعرف أن المخ عضو مركب ومعقد به أوعية دموية متشعبة وبه أعصاب أكثر دقة، وأحيانا لا يمكن أن نراها بالعين المجردة أو بعدسات مكبرة ولذلك استخدم فى الجراحات ولأول مرة ميكرسكوب يكبر عشرين أو أربعين مرة فيمكن الآن أن نرى هذه الأوعية، كما أن هناك آلات جديدة ودقيقة جدًّا تمكن الجراح من استخدام خيط رفيع لربط الأوعية أو الأعصاب التى لا ترى بالعين ولكن بالميكرسكوب.

سألت الدكتور البنهاوى:

- كيف يتم الوصول للأوعية من خلال الجمجمة ؟

– يعمل شباك من الجلد ثم فى قطاع الجمجمة وهذا الشباك يغلق بعد العملية، ومن خلاله نصل إلى جزء نريده، وباستعمال الميكرسكوب نصل إلى أدق الأجزاء التى لم نكن نستطيع أن نراها بالعين المجردة، وهذا الميكرسكوب موجود فى مراكز جراحة المخ فى مصر، مستشفى المعادى، ومستشفى جامعة عين شمس، مستشفى جامعة القاهرة، وقد أصبحت عمليات المخ اليوم فى مصر وباستعمال هذا الميكرسكوب

عمليات روتينية مثلما يحدث فى العالم كله، وهذا هو التقدم الرئيسى والنجاح الكبير فى الجراحة نفسها.. وهناك تقدم آخر فى مجال طرق تشخيص أمراض المخ فنحن نعرف أن المخ موجود داخل الجمجمة.. يعنى أننا لا نستطيع أن نعرف ما بداخله فمثلا البطن يمكن الإحساس به وبالكبد وبالكلى وبالصدر، وبالسماعة يتمكن الطبيب من أن يعرف مكان الداء، فيشعر بنبضات القلب والرئة والتنفس، أما المخ فهو محفوظ بداخل الجمجمة وقد استحدث الآن نوع من الانقلاب فى الأشعة لتشخيص أمراض المخ.. أنا اعتبره انقلابًا فى عالم الطب فى القرن العشرين، وهو استخدام جهاز أشعة مخصوص متحرك يقوم بتصوير المخ من الداخل يعنى أنه يمكن أخذ مقاطع فى المخ ويصور من الداخل، وهذا الجهاز يتطور بسرعة فيظهر كل سنتين موديل جديد يصور أجزاء أدق، وهذا الجهاز موجود فى مصر ويوجد منه ثلاثة أجهزة حتى الآن ومن المنتظر خلال العام القادم أن يتضاعف هذا العدد فى كثير من المستشفيات..

• هل هو نفس الجهاز الذى يصور الجنين فى بطن الأم ؟

– الجهاز الذى يصور الجنين فى بطن الأم يستخدم الموجات فوق الصوتية، أما الجهاز الذى يصور المخ فهو يستخدم أشعة إكس نفسها.. هناك اختلاف بعض الشىء، كأن يصور الجنين أيضًا.. وفى الحقيقة أن هناك نوعين من التطور فى الأشعة فوق الصوتية تستخدم فى أمراض البطن والكلى، وأمراض المخ، والكبد والولادة، لكن استخدام الأشعة

لتصوير المخ بالذات يأتى بنتائج أكثر دقة من التصوير بالأشعة فوق الصوتية.

• ما هى الأمراض التى تصيب الجهاز العصبى ؟

– الجهاز العصبى مثل أى جهاز آخر يصاب بالأمراض، وتقسم هذه الأمراض إلى خلقية أو وراثية، وهناك إصابات أريد التركيز عليها بالذات لأن إصابات المخ الآن من الإصابات الهامة فى الجسم، سواء الإصابات المدنية وهى الحوادث، السيارات مثلاً، وهى أشد الإصابات وأخطرها، وأكبر نسبة من هذه الإصابات تجىء فى الجمجمة أكثر من الكسور العادية.. إننا نسمع كثيرًا عن الإصابات التى تنتج عنها الغيبوبة أو الارتجاج أو النزيف.

• نسمع أن هناك بعض حالات الارتجاج تظهر آثاره بعد سنين طويلة مثل الارتجاج عند الأطفال ؟

– هذه الحالات نادرة.. المفروض أن الأعراض تظهر وقت الإصابة، لكن هناك بعض أنواع مثل التجمعات الدموية حول عرق صغير، بعد عدة أيام أو أسابيع تظهر الأعراض أو تحدث نوبات صرعية، وعندما يحدث جرح فى المخ ويلتئم الجرح، فيحدث ندبة تؤثر على الكهرباء العامة للمخ، فتحدث النوبات.. لكن هذا شىء نادر. أما إصابات الحوادث فإننا نسميها وباء العصر.. لقد قضينا على الكوليرا ولم تعد وباء، واختفى الطاعون من العالم، أيضًا الجدرى انتهى.. هذه الأوبئة التى كانت تقضى على الملايين اختفت، ولكن إصابات حوادث السيارات

اليوم هى التى تقضى على الملايين كل عام وهى فى ازدياد، وهـذا يعنى أنه فى العام القادم سوف يرتفع العدد، والعام الذى يليه وهكـذا.. لأن مصانع السيارات تتسابق فى إنتاج سيـارات أكثر سرعـة وأكثر خفـة فتتحطم بسهولـة، ولأنى عضو فى اللجنـة الدوليـة لإصابـات الـرأس.. والكلام مايزال للدكتور البنهاوى - فإننـا نـناقش دائمـا هـذه المشكلـة وحتى نلزم مصانع السيارات بإنتاج سيارات أكثر أمانا من ناحية السرعة أو من ناحية الثقل نفسه، فـلا يكـون مـن السهـل انقلابهـا أو تحطمهـا فى عمود، ولكننا للأسف فشلنا فى ذلك. ٨٠٪ مـن هـذه السيـارات من الماركات الكبيرة لا تتوافر بها أى وسائـل الأمـان.

• إذن فما هو الدور الذى تقوم به المؤتمرات ؟

- نعقد المؤتمرات، نوجه النداءات ونقـول للحكومـات، ولكننـا لا نستطيع أن نلزم الشركات العالمية المنتجة للسيارات والناس أنفسهم هم الذين يفضلون سيارات أكثر خفة وأكثر سرعة وأقل تكلفة، ولـلأسف فإن وباء هذا العصر هو إصابات الـرأس التى سوف تـزداد باستمـرار، وهذا إنذار موجه لكل سائقى السيـارات فى العـالم.

• هل هناك فرق بين الأمراض الخلقية والأمراض الوراثية ؟

- الأمراض الخلقية هى الأمراض التى يولـد بهـا الطفـل ولا تظهـر إلا فى طفل واحد.. أما الأمـراض الوراثيـة فهى التى تجىء مـن الأب أو الأم.. فالأمـراض الوراثيـة هى التى تحدث ضمـورًا فى أجـزاء مـن الجهاز العصبى مثل المخيخ.. الشىء الذى يحدث اختلالاً فى التـوازن.

• وهل تظهر هذه الأمراض الوراثية نتيجة لزواج الأقارب مثلاً ؟

– يمكن أن تظهر فى بعض حالات الزواج من الأقارب. ولكن تظهر هذه الأمراض فى حالات أخرى.. الأمراض الخلقية هى مرض الاستسقاء في المخ.. أى عندما يولد الطفل برأس ضخم به ماء، ومن حسن الحظ أن هذا المرض أصبح له علاج جراحى بسيط جدا والشفاء منه مضمون إذا شخص المرض وعولج فى البداية.

• فى أى سن يصاب الطفل بهذا المرض ؟

– الطفل حديث الولادة. نجد أن رأسه كبير.. يزداد حجم الرأس، إنه استسقاء المخ فنجرى لهذا الطفل عملية بسيطة جدا يشفى بعدها تمامًا، وهناك أيضاً أمراض التهابات المخ، مثل الالتهاب السحائى الذى يعرفه الناس جيدًا وهو لم يعد وباء الآن لإنها الحمى الشوكية التى أصبح لها علاج، ولم تعد ذات خطورة، أما التهاب المخ فهو أشد خطورة وذلك لأنه فيروس يصاب به الأطفال ويسبب ضمورا فى جزء من المخ، وهذا المرض يقل فى مصر، ولكنه يزداد فى الدول الباردة التى تكثر فيها أمراض الانفلونزا. أما أورام المخ، وكما تأتى الأورام فى أى جزء من الجسم فهى تصيب المخ أيضا. لكنها نادرة بالنسبة لإصابات الرئة، أو الكلى. أكرر أن أورام المخ نادرة وهناك أناس يعانون من الوسوسة وعند الشعور بأى صداع يظنون أنه ورم خطير.

• بهذه المناسبة إن الصداع النصفى يثير قلق الكثيرين ؟

– لا خوف من الصداع النصفى.. فهو منتشر لكن أسبابه عصبية أو نفسية أو وجود خلل بالدورة الدموية تسبب اختلالاً فى المخ. فيمكن علاج الصداع النصفى ولكن لابد من وقت طويل.. أريد أن أقول للناس بالنسبة لأورام المخ فهى نادرة. وتعالج بالجراحة وتشفى تماما، كما أريد أن أكرر أنها نادرة..

• هل تصيب أمراض الشرايين المريض فى سن معينة ؟

– المفروض أن الإصابة فى سن كبيرة لكننا نرى الآن أن هذا المرض يصيب الشباب لأن ارتفاع الضغط وتصلب الشرايين أصبح يصيب الإنسان خصوصا فى البلاد الأكثر مدنية.

• سمعنا أن شبابًا فى سن الثلاثين يصابون بهذه الأمراض ؟

– نعم.. وهذه الإصابات واضحة فى أمريكا وأوروبا بالذات. وتقل فى بعض الدول الأفريقية وفى مصر، لكنها جديدة علينا لأن التوتر الذى يعيشه الناس اليوم، الحالة العصبية والنفسية والسرعة، كلها عوامل تجعل الدورة الدموية فى ارتفاع وهبوط مستمر.. إننا نعرف انه فى حالة التوتر يدق القلب، فتعمل الدورة الدموية مثل الأنابيب تمد الجسم كله بالدم، وفى حالة التوتر تستهلك هذه الأنابيب التى لا يمكن تعويضها، وهناك بعض الأمراض الدموية فى المخ مثل الشلل الرعاش. ترى بعض المتسولين ترتعش يده، وهى من الأمراض الموجودة فى مصر لها علاج دوائى وجراحى.

• ما هي الحالات التي يشفى منها المريض كلية ؟

– أريد أن أضيف شيئًا آخر من ضمن أمراض الجهاز العصبي هو الانزلاق الغضروفي، فالمريض يشكو من ألام بالظهر أو القدم، يحدث هذا لأن بين فقرات العمود الفقرى توجد غضاريف تبرز نتيجة للجهد فيحدث ضغط على العصب، هذا المرض منتشر في مصر وله علاج دوائي وطبيعي وجراحي، أما الأمراض التي تشفى تمامًا حتى بالنسبة للأورام الحميدة في المخ كبيرة، لذلك يمكن استئصالها ويتم الشفاء للمريض كلية، وهناك أورام سرطانية، يحدث وكما تأتي في الرئة، تعمل لها جراحة ولكن عادة يأتي المريض متأخرا.

• أليست هناك أعراض ؟

– بالنسبة لأورام المخ لها أعراض.. ولكن لن أقولها للناس.. حتى إذا شعر أي فرد بأي صداع عادى سوف يظن أنه مرض خبيث.

• بهذه المناسبة هل يمكن نقل مخ أو جزء من الإنسان إلى إنسان آخر ؟

– لم يحدث هذا.. ولن يحدث حتى يوم القيامة، افترض مثلاً أن لدينا شخصًا اسمه محمد وآخر اسمه على، وقمنا بنقل كلية محمد لعلى، فسيظل على كما هو، لكن إذا نقلنا مخ محمد لعلى.. فسوف يصبح على محمدًا. الإنسان ذاكرة.. مع افتراض أن عليًا مهندس ومحمدًا دكتور. فماذا يحدث ؟

• ألا يتم نقل قلب إنسان لإنسان أخر ؟

– القلب شيء آخر.. القلب لا يحب ولا يكره.. فالمخ هو الذى يحب وهو الذى يكره، والقلب مجرد دورة دموية مضخمة، وارتباط الحب بالقلب هو من تخيل الشعراء.. قالوا القلب لأنه لوحظ أنه عندما يحب الإنسان يدق قلبه، فظن الإنسان أنه يحب بقلبه، لا أنه المخ الذى يجعل القلب يدق، فالحب معناه العقل، فإذا نقلنا قلب محمد لعلى فسيظل على كما هو، لكن إذل نقلنا مخ محمد لعلى سوف يتحول إلى محمد فإذا كان على دكتورًا ومحمد مهندسًا فكيف يحدث هذا؟! المخ هو الشخصية.

• هذه هى الأسباب المعنوية، ألا توجد هناك موانع تكنيكية؟

– هذه هى الموانع الروحية والدينية. أما الأسبلب الفنية فتتلخص فى أن بالمخ كابلات موصلة بالجسم كله، كابلات كهرباء دقيقة جدا، ولكى نرفع مخا آخر، لابد أن نوصل كل هذه الفروع الدقيقة وهذا مستحيل، وحتى لو نجحنا تكنيكيا. فإن الكهرباء لن تسير فيه، ثم هناك الشرايين التى تغذى المخ، بعض منها دقيق لا يمكن أن نوصلها، بالقلب شرايين كبيرة، ومن حسن الحظ فإن الجهاز العصبى الذى يسيطر على القلب يمكن للقلب الاستغناء عنه، يمكن أن ننقل القلب بدون أعصاب، لكن المخ نفسه لابد أن تتصل شعيراته باليد، والإصبع والعين، وبالمعدة وبالقدم.

• هل المرأة أكثر إصابة من الرجل بأمراض المخ ؟

– هناك بعض الأمراض النادرة قد تصيب النساء مثل الأمراض النفسية.. بعض أنواع الصداع النصفي. وهذا الصداع له علاج لكن للأسف فإن آلامه مزمنه وتتطلب وقتًا أكبر للشفاء منه.

• هل يمكن أن تسبب إصابات المخ الأمراض العقلية مثلاً ؟

– هناك أجزاء من المخ تسيطر على العاطفة، والتفكير، تأتى الإصابة أحيانًا فى هذا الجزء فتحدث تأثيرًا، فالشرايين التى تنسد فى جزء، لو تصادف أن جاء الانسداد فى الجزء الذى يسيطر على العواطف وعلى التفكير وعلى الذاكرة وعلى الذكاء.. هنا يؤثر على الناحية العقلية أو النفسية.

• هل حقيقة إن العقل السليم فى الجسم السليم ؟

– نعم فالعقل.. هو جزء من الجسم.. وهو المتحكم فى كل الجسم، إذا كان الإنسان حسن المخ والتفكير والذكاء فسوف يكون جسمه سليمًا، فالجسم السليم يساعد كل الأعضاء على أن تكون سليمة.

مايو ١٩٨٣

من سفح الشيوعية إلى قمة الإسلام

روجيه جارودى

متعة الإنصات لحديث «روجيه جارودى» أكبر مفكر معاصر، لا تفوقها متعة، فهل أقول إن الإسلام قد أضاء بنوره وجه هذا الفيلسوف الفرنسى إلى درجة أنه لم يبد عليه حقًّا فى الواحدة والسبعين من العمر؟! رحلة كفاحه امتدت إلى أكثر من أربعين عامًا، كتب خلالها حوالى ثلاثين كتابا تدور كلها حول الحضارة العربية، المعرفة، الماركسية، الإنسانية والإسلام، بدأ تطور فكر «جارودى» عندما كان من أهم المفكرين فى الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.. كان مفكرًا سياسيًّا، أى مفكر الماركسية الأوروبية، من أشهر أعماله كتاب عن الحرية، ترجم إلى اللغة العربية عام ١٩٤٨ ، وبالرغم من أنه نشأ وسط عائلة ملحدة، فإنه كان من أشد الماركسيين نقاء، وأكثرهم علمًا ووضوحًا، شغلته منذ الوهلة الأولى قضية المعرفة، فكتب كتابا بعنوان «النظرية المادية عن المعرفة»، وعندما دخل «روجيه جارودى» الحزب الشيوعى الفرنسى فسر هذا قائلا: «إنها المعاداة للنازية»، وكان من الواضح بالفعل أنها كراهية الفرنسى الوطنى الذى يرفض فكرة العنصرية التى تدعى أن العالم أجناس، من هذا المنطلق اتضح موقف «جارودى» منذ اللحظة

الأولى، فكان من أول المعارضين للنازية، لذلك نبعت فكرة إيمانه بالماركسية في أول الأمر من فكرة المساواة بين البشر.. وهذا التفسير يمكن أن يوضح أسباب اعتناقه للإسلام واختياره لهذا الدين الذى يرفض فكرة التمييز العنصرى، لم يكن يعنيه حقًّا الصراع بين المذاهب، توصل إلى تلك النظرة الإنسانية التى كانت أول الجذور التى جذبته إلى الإسلام، أما تجربته داخل الحزب الشيوعى الفرنسى، فقد بدأت بصراع بينه وبين الوجودية فى الفترى ما بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٦٠، ولكن أزمة «جارودى» الحقيقية بدأت بعد عامى ١٩٦٧ و ١٩٦٨، أى فى فترة أحداث تشيكوسلوفاكيا، وإعادة النظر فى المسألة الستالينية، هنا بدأ «جارودى» يكتشف عيوب النظام الرأسمالى فى فرنسا.. كما أنه رفض فى نفس الوقت تطبيق النظام الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى، فعندما بدأ «جارودى» يهتم بالأديان، كانت هذه هى أول أزماته الحقيقة مع الحزب الشيوعى الفرنسى، ففى عام ١٩٧٠ وفى المؤتمر الذى أقيم بفرنسا، احتفالاً بمرور خمسين عامًا على تكوين الحزب الشيوعى الفرنسى، انفجرت الأزمة، وفكر الحزب جديًّا فى طرد «جارودى» الذى استقال فى النهاية، وقد سمى هذا المؤتمر فى ذلك الوقت «بأزمة جارودى».

كان «جارودى» على يقين من أن النظام الرأسمالى يؤدى إلى الاحتكار، وبالتالى إلى غربة الإنسان.. الترف والتلف، كما رأى فى النظام الشيوعى إرهاقًا للإنسان ونكرانًا لحقوقه، من هنا جاء إفلاس النظامين معًا.. فبدأ

بالاهتمام بابن خلدون والحضارة العربية فكتب عن دور الحضارة العربية فى تاريخ الإنسان، وكان اهتمامه بالأديان وبالحضارة العربية والإسلامية والمغرب العربى هو بداية انصرافه عن الماركسية، وتأكيدًا بأننا بصدد باحث قلق وصل بالإقناع إلى الإسلام بعد هداية وبعد رحلة شك طويلة، أما معاداته للصهيونية فاتضحت من كون اليهودية هى الدين الوحيد الذى لا يعترف بمن بعده.. بمعنى أن المسيحية تعترف باليهودية، وليس العكس.. والإسلام يعترف باليهودية والمسيحية.. وهذا هو الوجه المتسامح فى الفكر الإسلامى.. أما الشخصية الصهيونية فهى تقوم على اليهودية التى لا تعترف بديانات أخرى.. من هنا نشأت فكرة العنصرية القلقة، فلم يكن أمام هذا المفكر المتشكك إلا أن يبحث عن الأيدولوجية الإنسانية، بعد دراساته المتعددة للأديان كلها، ولتاريخ العرب والإسلام وللاتجاهات العالمية والفكرية بدأ هذا العالم الفرنسى يكتشف حقيقة هامة: وهى أن الإسلام رسالة موجهة إلى الإنسان فى كل مكان، فإن مجرد الإيمان دون الانتماء لقبيلة أو لعنصر أو لون أو الانحدار من سلالة معينة يكفى، لذلك كان آخر ما كتب «جارودى» هو كتاب بعنوان «الإسلام يقطن مستقبلنا» وفى هذا العمل الضخم قدم الكاتب الإسلام فى القانون وفى الملكية، وفى الشعر، وفى المعمار، سألت المفكر الفرنسى الكبير «جارودى»:

- ماذا حقق العلم لنا اليوم ؟

– للأسف.. إن الإنجازات العلمية والتكنيكية اليوم لم تحقق شيئًا

من أجل خدمة الإنسان، من أجل رخائه وتحرره، ولكن ما حققه العلم كان النمو من أجل النمو، والسلطة من أجل السلطة والعنف من أجل العنف، وقد أدى هذا بالفعل إلى الاعتداء، بل القضاء على الطبيعة وعلى الإنسان فلم يفكر العالم فى مستقبل أفضل، كما أن الحضارة الغربية فى طريقها إلى الموت، وذلك لأنها لا تعرف لنفسها حدًّا، ولا تعترف بالنهاية، إنه أساس الحضارة الغربية التى لا تتأمل فى معنى الحياة أو معنى الموت، هذه الحضارة تؤمن فقط بأن وجودنا ضرورى وليد القدر، لذلك فهى لا تعطى للكائن أى معنى إنسانى.

• هل هناك فرق بين الدين والسياسة ؟

– لا فرق بين الإيمان والدين والسياسة، فلا يمكن أن نجعل من الدين «مسألة خاصة» وإلا كانت وسيلة الزعماء السياسيين فى الحكم بعيدة عن أحكام الله. فإن النبى عليه الصلاة والسلام لم يكن فقط نبيا، لكنه كان زعيم دولة، مشرعًا زوجًا، وأبًا، وتاجرًا وقاضيًا، ومحاربًا، وهناك آية قرآنية تقول: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». فالإنسان فى القرآن مسئول عن تاريخه، مسئول عن أمة المسلمين، أما الخلط بين الدين والسياسة فإنه أمر شائع، خاصة فى فرنسا.

• إلى أين يؤدى بنا الصراع بين الرأسمالية والشيوعية ؟

– أمام الإسلام اليوم إمكانيات وآفاق واسعة، يمكن أن يواجه بها النظامين الأمريكى والسوفيتى، فإنه الأمل الوحيد لعالم مهدد باستمرار..

إنه طريق الجهاد للتوحيد بين كلمة المسلمين، فعلى الإسلام أن يستفيد من مجده وعظمته. فالإسلام غنى بالمبادىء الخالدة التى تسمح للعالم الإسلامى أن يأتى بالحلول لمشاكله اليوم، إنه الأفق الذى يتسع أمام مسلمى الغرب، فيمكن للإسلام أن يغزو العالم برحالته، إن الغرب لا يطرح إلا مسألة «الكيف» وليس «لماذا؟».. أهو العلم من أجل العلم أو الفن من أجل الفن.. إن ذلك لا يعبر فى الواقع إلا عن حياة لا تؤدى إلا للنسيان، فإن هذا النظام الغربى ونموه لا يقود العالم إلا للانتحار.

● التفاؤل واضح فى كل أعمالكم، فكل كتاب تقريبًا ينتهى بجملة تعبر عن هذا المعنى هذا على الرغم من رحلة الصراع والكفاح الطويلة؟

– لو لم أكن متفائلاً لألقيت بنفسى فى هذا النيل العظيم.. لقد هاجمت «ألبير كامى» و «سارتر» وغيرهما من الفلاسفة الوجوديين.. فهم لم يعرفوا العالم إلا على أنه «حياة لا قيمة لها» أو مثلاً «جهنم هم الآخرون» أو «ما الإنسان إلا دمية متحركة» أما الإسلام فهو دين الحب والتعاطف، والدعوة إلى الإيمان لابد أن تحقق السكينة والصبر والرضا وبالتالى التفاؤل.

وعندما سألت السيدة «سلمى نور الدين التاجى» زوجة المفكر الفرنسى «روجية جارودى» الجزائرية الفلسطينية الأصل، والتى نشأت فى القاهرة وتعلمت بمدرسة الميردية عن مدى تأثيرها على فكر ذلك المفكر الفيلسوف قالت:

– لم أتزوج من «روجيه جارودى» إلا في عيد الأضحى الماضى.. وكنت قد دعوته لإلقاء محاضرة عن الإسلام بجامعة جنيف، فعندما تزوجته كان قد انتهى تقريبًا من كتابة معظم أعماله عن الإسلام.

لكن لنطرح فى النهاية سؤالاً:

هل حقيقة من حق الكاتب أن يتحول وبهذه الصورة السريعة من الإلحاد إلى الإيمان؟

لكى نكون صادقين، وبالرغم من أنه ليس من حقنا طرح مثل هذا التساؤل، فلابد أن يكون الحكم فى التحولات الفكرية نوعًا من التحليل الداخلى، أى لابد أن نصحب الكاتب فى رحلته الفكرية، أما إذا أطلقنا أحكامنا على الكاتب من الخارج فقط فهذا يعتبر ظلمًا.. وهذا ما حدث بالنسبة للدكتور «طه حسين» والأستاذ «العقاد». فالحكم من الخارج هو بداية الظلم. ولا نصبح مسلمين لو لم نصحبه فى رحلته الداخلية والنفسية فقد تناول «جارودى» الإسلام بحاسة الفنان والشاعر.. إنه الرجل الذى أنصف جماليات الإسلام.. كما أن صراعه لا يثبت إلا أنه رجل مخلص بحث عن الحقيقة بصدق، والبحث عن الحقيقة هو أنبل ما فى الإنسان.

مارس ١٩٨٣

هذا الكاتب الفرنسي عاشق لطه حسين

ميشيل تورنيه

فى فرنسا أدباء وكتاب عشقوا طه حسين. كنموذج إنسانى للصمود والقوة، وكأديب جليل أيضاً، إن «ميشيل تورنيه» كاتب وأديب حاصل على جائزة الجونكور عن رواية «ملك الآفاق»، عشق الأدب وفكر طه حسين. ولد هذا الكاتب عام ١٩٢٤ ، ورغم كثرة كتاباته فإنه كان على خلاف مع الحظ الذى ابتسم له فقط عام ١٩٦٧ ، عندما نشرت له روايته «غموض الباسفيك»، وحصل بها على أكبر جائزة عن الرواية فى فرنسا، ومع أننى لست كطه حسين فإننى مثله أحببت فرنسا كثيراً، لذلك سعدت عندما عرفت أن فى مصر الأديب والكاتب «ميشيل تورنيه»، وكانت فرصة للقاء معه أردنا ألا تفوت، من المناسب أن أبدأ الحديث مع الكاتب الفرنسى بموضوع الجوائز: فأنت نلت بعضها ولكنك أخفقت فى الحصول على جائزة نوبل العالمية التى كنت مرشحاً لها.. وقد تردد اسمك فى الأوساط الأدبية كأبرز من يتوقع له الحصول عليها.. لماذا فى تقديرك لم تحصل عليها ؟

– أما لماذا لم أفز بها، فالأمر فى منتهى البساطة لأن اسمى قد تردد كثيراً عما تقولينه، فمن المعروف كما تؤكد الشواهد التى اقترنت بالجائزة

أن الكتّاب الذين ترددت أسماؤهم بقوة أو الذين تنصب عليهم توقعات الآخرين لا يفوزون أبداً بالجائزة.

• انطلاقاً من قضية الجوائز يتداعى سؤال: أنت أحد الأعضاء الذين يمنحون جائزة جونكور للأعمال الأدبية المتفوقة، وعلى حد علمى فإن الجائزة ليست مقصورة على أدباء فرنسا وحدهم، فما هى فرصة الأدباء العرب للفوز بها ولدينا فى مجال الأديب الروائى عمالقة ؟..

– تماماً إنها جائزة مفتوحة أمام كل الجنسيات رغم كونها فرنسية، وقد سبق أن فاز بهذه الجائزة الكبرى كاتب من سويسرا وآخر من بلجيكا، وثالث من كندا، ولكن المشكلة أن قانون الجائزة يشترط أن تكون الرواية مكتوبة باللغة الفرنسية لأنها جائزة محلية تعطى فى إطار الإبداع باللغة الفرنسية.

• فى اعتقادك ما هى المكافأة التى يمكن أن يحصل عليها الكاتب؟ أهى الشهرة أم النجاح ؟

– فى يقينى أن الشهرة غير النجاح، هناك اختلاف بينهما قد يصل إلى حد التناقض، فهناك من يكون مشهوراً ولكن ليس ناجحاً، إن المكافأة الحقيقية التى ينالها الكاتب هى إحساسه بأنه قد أبدع شيئاً حقيقيًّا يقول به للآخرين ها أنذا، وهنا يجد التوثيق لهذا الإحساس لدى الآخرين نقاد أو قراء، نعم: أن يكون الكاتب مبدعاً فتلك هى المكافأة ولا مكافأة فوق ذلك أبداً.

• يقول بعض الكتاب ويؤمن بهذا كثرة من النقاد أن الكتابة للأطفال أصعب بكثير من الكتابة للكبار لأنها تتطلب حساسية بالغة فما هو رأيك أنت ؟

– أحب فى البداية أن أصحح بعض الالتباس فيما يخصنى شخصيًا.. لى بعض الكتب أصبحت رائجة وقراؤها من الأطفال، ولكنى منذ البداية لم أستهدف بها الأطفال، ولم أكتبها خصيصاً لهم، الذى حدث أننى كتبت الحقيقة بصدق فقرأ الأطفال أعمالى وأقبلوا عليها.. أنا مثلا لا أكتب بطريقة جوته أو شكسبير، ولكنى أكتب بطريقة هيجو ولافونتين، لقد استخدمت الرموز والحيوانات الخرافية والغيلان والأشباح، لكى أنفذ من الميتافيزيقا إلى الرواية، كان لابد لى أن أستخدم الأسطورة، ولأن الأسطورة هى جوهر أى قصة، فهى أيضاً حكاية الطفل وحولها يدور منهج المعرفة.

• أرى أن الحديث قد جرنا بغير مقصد إلى الفلسفة، فما هى قصة الفلسفة فى حياة ميشيل تورنيه ؟

– لقد أمضيت حياتى فى دراسة الفلسفة بشتى مذاهبها واتجاهاتها، وأنا لم أبدأ الكتابة إلا عندما بلغت الأربعين من عمرى، ولقد حاولت أن أعمل مدرسا للأطفال، ولكنى فشلت، وربما يفسر هذا سر اهتمام الأطفال بكتاباتى فهم حتماً يجدون فيها ما يخصهم، وربما كان لرغبتى الكامنة والمحبطة قد وجدت التعبير عن نفسها بشكل ما فى كتاباتى التى تروق لذوق الأطفال، فأنا لم أقصد الكتابة للأطفال، ولكن

تلقائية الشعور تفرض نفسها. أما عن الفلسفة فى أعمالى الأدبية أى مدى انعكاساتها علىّ، فأنا أحاول إخفاءها، ففى الإبداع من المهم أن يكون الكاتب فناناً أولاً.

• الوحى، الإلهام، الموهبة.. كلمات تتردد حول الأدباء فى تقديريك أى واحدة من هذه الكلمات هى التى تصنع الأديب ؟

– القارئ هو الذى يجب أن تتوافر لديه هذه المعانى التى ذكرتها. أما أنا فلست سوى صانع حرفته الكتابة.

• لكل كاتب وسواسه الخاص، هل لى أن أسألك ما هو المنطق الذى تحاول قصصك أن تبحث عنه؟

– باختصار إنه البحث عن الحقيقة فى محاولة دائبة لاقتناصها أو الإقتراب منها.. لقد كتبت عن الحب عن الحرب وعن الجنس عن مشكلة الإنسان مع نفسه، ومع الآخرين، ومن خلال الرموز والإشارات والاستعارات والحوار، والصمت أحاول أن أبلور الحقيقة فى مطلقها ونسبتها حقيقة الكون والوجود والمجتمع والفرد أحاول ليس إلا.

• ما دمت قد تحدثت عن القراءة.. يخطر لى سؤال ماذا تعرف عن الأدباء العرب أو أدباء مصر ؟

– يؤسفنى أن أقول إننى لا أعرف الشىء الكثير عن الأدب العربى المعاصر.. ولكن أتيح لى أن أعرف عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين.. وقد عرفته عن قرب فهناك صلة عائلية تربط بينى وبين السيدة سوزان طه حسين، وقد كنت أجلس منه مجلس التلميذ من أستاذه

الساعات الطويلة هو يتحدث وأنا أصغى، وكانت تتملكنى الرغبة فى كتابة كل ما يقوله فأحاديثه وأفكاره هى الحكمة بعينها.

• والآن بعد هذا الحديث هل فى خاطرك ما تريد أن تقوله للأوساط الأدبية فى مصر ؟

– رغبة ذاتية لا أحب أن أكتمها، لقد ترجمت أعمالى إلى أكثر من ثلاثين لغة من بينها اليابانية، ومما يحز فى نفسى أننى لم أترجم إلى اللغة العربية بعد، لكن أتمنى أن يترجم أول كتاب دخلت به عالم الأدب لأن موضوعه عالمى الطبع ويهم الإنسان فى كل اللغات.

• ما هو الكتاب الذى تقرؤه الآن.

– معى كتاب لم أنته بعد من قراءته.. إنه كتاب أكثر من رائع اسمه «الباحث عن الذهب» للكاتب «لوكليزيو».

مارس ١٩٨٥

المرأة رئيسة لجمهورية فرنسا

سيمون فيل

شخصية سياسية فرنسية ولدت عام ١٩٢٧ بمدينة «نيس» عينت فى عام ١٩٧٠ سكرتير المجلس الأعلى بهيئة القضاء لتكون أول امرأة تشغل هذا المنصب، ثم عينت كوزيرة للصحة العامة فى باريس عام ١٩٧٤ وحتى يوليو ١٩٧٩ ومسئولة أيضاً عن الأمن الاجتماعى فى عام ١٩٧٦ ، ثم عن الأسرة فى عام ١٩٧٨ ، وقد قامت بالعديد من الإصلاحات، اتخذت شكل القانون الذى صدر فى ديسمبر عام ١٩٧٤ الخاص بحرية منع الحمل والقانون الذى صدر فى ١٧ يناير عام ١٩٧٥ بإباحة الإجهاض الذى سمى بقانون «فيل» الذى ألغى قانون عام ١٩٢٠ ، الذى كان يعمل به حتى صدور تلك القوانين الأخيرة، انتخبت بالمجلس الأوروبى فى شهر يونية عام ١٩٧٩ ثم أصبحت رئيسة لهذا المجلس حتى يناير عام ١٩٨٢ ، ثم أعيد انتخابها لنفس المجلس فى يونيو عام ١٩٨٤ .

ورغم أنها لم تعد الآن وزيرة للشئون الاجتماعية أو وزيرة للصحة أو رئيسة للبرلمان الأوروبى، فإن الأضواء لم تختف من حولها، ففى استفتاء أجرى منذ عدة سنوات عن أكثر الشخصيات العامة شعبية،

احتلت السيدة «سيمون فيل» المرتبة الأولى بأكثر من ٨٨٪ من الأصوات، وفى زيارة خاطفة للقاهرة جاءت خلالها للحديث عن الأمراض المعدية كان هذا الحديث معها عن المرأة ومشاكلها!

• من المعروف أن المرأة الفرنسية هى أكثر نساء العالم تمتعاً بحريتها.. ولكن الغريب أنها ما زالت تقود المظاهرات مطالبة بالمزيد من هذه الحرية.. فما المعنى ؟

– أعتقد أن المشكلة ليست الحرية.. ولكن وصول المرأة الفرنسية إلى حد أنها تسعى لأن يكون لها بالحفاظ على شخصيتها أن تتحمل جانباً من المسئولية السياسية والاجتماعية تماماً مثل الرجل.. فالمرأة الفرنسية تتمتع بنفس الحق أمام القضاء، فلماذا لا تكون لها نفس الحقوق النفسية ؟.. أعتقد أنه لهذا السبب نجد المرأة دائماً على رأس المشكلات.

• الفضل يعود إليك فى تشريع القانون الخاص بالإجهاض فى فرنسا حتى أنه أطلق عليه «قانون فيل»، فما هى القضية التى تشغلك الآن؟ وما الذى تتمنين تحقيقه للمرأة ؟

– أولا على المرأة أن تتوافق مع مشاكلها الصعبة فمن الطبيعى أنها تسعى للازدهار والتفتح لتحقيق ذاتها والبحث عن سعادتها، ولكن عليها فى نفس الوقت أن تتحمل جانباً من مسئولياتها السياسية والاجتماعية وهذا التناقض هو أهم مشكلات المرأة.

• عدد النساء فى البرلمان الأوربى وصل إلى ٦٩ سيدة فهل تعتقدين أنه يمكن للمرأة الفرنسية أن تنتخب رئيسة الجمهورية فى فرنسا ؟

– دور المرأة واضح فى المجتمع الفرنسى وأعتقد أنه سيأتى اليوم الذى تصبح فيه رئيسة للجمهورية.. ولكننى أخشى على المرأة من أن تكون ضحية لهذه المتغيرات السياسية والاجتماعية.

• ليست هذه هى الزيارة الأولى للقاهرة ؟

– أشعر بالسعادة لأننى دعيت لافتتاح المؤتمر الطبى الثانى للأمراض المعدية فهى فرصة أعادتنى مرة أخرى لهذا البلد الحبيب الذى يتمتع بأعلى الخبرات العلمية.. جئت إلى القاهرة فى عهد الرئيس الراحل أنور السادات، ومرة ثانية فى عهد الرئيس حسنى مبارك.. كما أتمنى أن أعود قريباً ولكن لفترة أطول.

أبريل ١٩٨٥

أبيض وأسود ..

فردريك ديرنمات

كاتب سويسرى ناطق باللغة الألمانية ولد بمدينة «برن» عام ١٩٢١، ابتعد عن المسرح الملحمى لـ «بريخت»، وخلق المسرح المتشائم حيث اعتمد على الصور الواقعية، فقدم مسرحيات كانت خليطاً بين التراجيديا والكوميديا، فى عام ١٩٤٩ قدم «رومولوس العظيم»، «زواج السيد مسيسبى» فى عام ١٩٥٢ ، «زيارة المرأة العجوز» ١٩٥٥ ، «فرانك الخامس» ١٩٥٩ ، حيث أبرز عجز الإنسان وسط عالم لا يمكن أن يكون به بطل أو مأساة حقيقية، بعد فترة قصيرة من المرحلة الوجودية كتب «ديرنمات» عدداً من الروايات البوليسية، حيث جسد صورة المخبر البوليسى وأثبت أن الحياة تعتمد على القدر، تهرب من أى حسابات، دراساته النقدية كانت عن المسرح قدمها بين عامى ١٩٦٦-١٩٧٢ ، وتركزت حول فلسفة التاريخ رافضاً أى فكر أيدولوجى، استخدمها فى تحليل الصراعات السياسية خاصة عندما كتب عن «إسرائيل» فى عام ١٩٧٦ .

نادراً ما يجمع الإنسان بين فن الكتابة وفن الرسم، ويجيد الاثنين معاً، ولكن كاتب سويسرا الأول «فريدريش ديرنمات»، أجاد استخدام

الفرشاة والقلم، فقدم مواقف أسطورية وإنسانية جعلت لكتاباته ولوحاته أسلوباً ممتازاً ومتميزاً، كان على أن ألتقى بالكاتب السويسرى الكبير «فريدريش ديرنمات» منذ عام ١٩٧٨ فى مدينة «نيوشاتيل» حيث يقيم، لولا أننى اضطررت للإعتذار عن الموعد لوفاة والدى مما اضطرنى للعودة فوراً إلى القاهرة. وفى صيف هذا العام أعددت للقاء ثان مع ديرنمات لولا أن ضيق وقته ابتعد بالموعد المحدد ليتفق مع يوم زفاف أخى الأصغر، فاضطررت للإعتذار مرة أخرى، وأخيراً، قدر لهذا اللقاء أن يتم.. وهنا فى القاهرة هذه المرة.

• سألت ديرنمات: أقيم أخيراً وفى مدينة «نيوشاتيل» معرض كبير يضم مجموعة نادرة من لوحاتك الفنية عرضت لأول مرة على الجمهور، وقد قال النقاد إن هذه اللوحات مزعجة مخيفة وأن «ديرنمات» يغمس فرشاته فى الحامض، فما سر هذا الخوف الذى تعانى منه ؟

– هذه اللوحات لا تخيفنى أنا، حتى أن بدت متشائمة مثل «الهروب» و«نهاية العالم» و«الكارثة» و«الانهيار» إننى أعبر عن الأساطير القديمة التى سمعتها وأنا طفل صغير، فعندما أقف أمام لوحاتى أشعر كأننى عدت إلى الطفولة فقد كنت أتمنى أن أصبح رساماً لأن الرسم بالنسبة لى هو الخلق، هو الحياة.

• المجتمع الأدبى العالمى يعرف من الكتاب السويسريين «ديرنمات» و«ماكس فريش» و«أريك ماريا رومارك» الذى كنت قد إلتقيت به قبل وفاته بعام واحد بعد أن كتب «كل شىء هادئ فى الحى الغربى».

ولكن الملاحظ أن معظم أعمالك قد ترجمت إلى لغات عديدة منها الفرنسية والإنجليزية والعربية واليابانية والصينية. فما سر هذا الإنتشار الواسع ؟

– أعتقد أن السبب الوحيد فى هذا الإنتشار هو أننى أكتب عن الحقيقة التى أبرز بها الموقف الإنسانى، فكنت بعيداً عن التقليد أو المحاكاة، وإنما ابتدعت أساطيرى الخاصة التى استمدها من وحى وروح العصر.

• بعد أن إبتعدت عن مسرح «بريخت» خلقت المسرح المتشائم، وفى نفس الوقت فأنت عندما تكتب فإنك تكتب خصيصاً للمسرح وللرواية وللقصة القصيرة أو الرواية البوليسية. فما معنى هذا التنوع ؟

– الكتابة للمسرح هى نوع مميز من الكتابة، وقد قدمت صوراً ونماذج من الواقع المعاكس لكل ما هو شائع، فقد أوضحت مثلاً كيف أن قدرة المال يمكن أن تغير وتفسد الضمائر والسلوك فإننى فى حاجة إلى هذا التنوع فى الكتابة.

• إذن فما سر هذه الدعابة الواضحة فى أعمالك؟ هل هى من سمات شخصيتك وطبيعتك؟ ولماذا قلت فى نفس الـــوقت إن المسرح يجب أن يكون مكاناً للتسلية ؟

– أكتب المسرح لنوع معين من الناس، فأنا لا أكتب مثلاً للأغنياء. ومع ذلك أتمنى أن تكون الدعابة من صفاتى، لأن الدعابة هى أسلوب لرؤية الأشياء، كما أنها الوسيلة الوحيدة لنكون إنسانيين، فالدعابة تشبه

السخرية وهى رؤية عن بعد، فيجب أن نحافظ دائماً على هذه المسافة وإلا وقعنا فى اليأس.

• فى عام ١٩٨١ ظهرت سيرة ذاتية عن حياتك ضمت مجموعة أعمال مثل «الحرب فى شتاء التبت» و«خسوف القمر» و«المتمرد»، فى هذا الكتاب قلت إنك لست من بين هؤلاء الكتاب العراة، ألا ترى أن الكاتب ملك لقرائه أى من حقهم أن يعرفوا كل الحقيقة عنه، خاصة عندما يتعلق الأمر بالسيرة الذاتية ؟

– أتعرفين ما هى الحقيقة؟ هناك حقيقة لا تهم القارئ. فأنا أعمل على إظهار الموقف الإنسانى، فما يهمنى هو الإنسان، وقدر الإنسان هو الموت، والإنسان معناه التفكير والتأمل، فأكبر معجزة إنسانية ليست الجنس لأن الإنسان يتقاسمه مع باقى الحيوانات لكنه العقل، فالعقل هو معجزة العالم وهو أشد تعقيداً من الشمس نفسها، ففى السيرة الذاتية عن حياتى لا أقول إلا الأشياء الهامة فقط، فما يحدث فى الأدب الحديث اليوم لا يستهوينى على الإطلاق.. قصص الزواج، الحب.. كل هذه أمور لا معنى لها. لأنها أمور خاصة وفيما عدا ذلك يصبح مجرد حب استطلاع.

• فما هو الدور الذى تحتله المرأة فى أعمالك ؟

– المرأة شيء هام، فهى تتقاسم الحب مع الرجل، ولها أسلوب فى التفكير يختلف عنه تماماً.

• قلت إنه لا يوجد فى العالم أغرب من ذلك الإحساس بالغربة الذى يجمع بين الأب وابنه، فماذا على الجيل الجديد؟ وهل يمكن لجيل الكتاب الجدد أن يغيروا العالم؟

– لا أعيب شيئاً على الجيل الجديد ولكن مشكلة الأجيال باقية كما هى ولن تتغير. فالأب سيظل دائماً ذلك الشيء المبهم، والذى يغير هذا العالم هو الإنسان نفسه، وليس الكاتب.

• لقد اتهمك بعض النقاد بأنك «تتهكم» فى كتاباتك.. لماذا ؟

– أنا أعتبر نفسى مثل الطبيب أتولى تشريح النفس، وقد أؤلم أحيانا ولكننى أشفى.

• منذ عدة سنوات كنت تدافع عن السياسة الإسرائيلية، ولكن بعد الحروب الأخيرة وخاصة بعد حرب لبنان هاجمت السياسية الإسرائيلية، وكتبت كتاباً فى عام ١٩٧٦ دافعت فيه عن حق الفلسطينيين فى أن تكون لهم دولة، فما سر هذا التحول ؟

– فى هذا الكتاب لم أهتم بحق اليهود فقط،ولكن بالحقوق العربية أيضاً، وقد تناولت الصراع الذى يحدث فى عالمنا اليوم، هذا العالم الذى يعيش فى خطر مستمر، إننا نعيش فى عالم القنابل الفتاكة فليس أمامنا إذن سوى تغيير السياسة، فما يحدث فى الموقف العالمى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، وذلك التسابق على التسليح النووى إنما يزيد الأمر خطورة، لذلك فأنا أقول إن زمن الحروب قد إنتهى،

هـذا مـع أن السلام يعيش أيضاً فى خطـر فـإن أكبـر جريمـة ارتكبهـا الإنسان ضد الطبيعة هى صناعة السيارات والوقود، إنه التلـوث الـذى بدأ يقضى على الغابات فى أوروبـا.

• وهل يعنى هذا أنك ضد التقدم، ضد الحياة العصرية الحديثة ؟

– لا.. ولكننى أرى أن التقدم أصبح خطـراً على البشريـة.

نوفمبر ١٩٨٥

فرنسى أستاذ للتاريخ الإسلامى

أندريه ريمون

كانت المنطقة العربية ومنذ القدم مثار اهتمام الغرب.. هـذه المنطقـة المتعددة الحضارات والغنية بالثروات.. جذبت العلماء والباحثين.. وخلال العشرين عاماً الأخيرة.. عكف المؤرخون والمعماريون على دراسة المدن العربية والإسلامية الكبرى.

فى لقاء مـع البـروفسور الفـرنسى «أندريـه ريمـون» أستـاذ التاريـخ الإسلامى بجامعة «بروفانس»، له كتابان بعنوان «المدن العربيـة الكبـرى منـذ القـرن السادس عشر وحتى القـرن الثامـن عشر» و«المدن العربيـة الكبرى فى العصر العثمانى».

• كان سؤالى الأول عن سر اهتمام الغرب بدراسة تاريخ المدن العربية والإسلامية ؟

– قال: الأسباب متعددة أولها أن لهذه المدن ملامح متميزة أثـرت فى حضارة دول البحر المتوسط، ثانياً أن الدين الإسلامى جعـل لهذه المدن مكانة فريدة جـذبت البـاحثين العلمـاء والمستشرقين الغـربيين، ثالثـاً أن الإنفجار السكانى فى هذه المدن والذى بـدأ منـذ القـرن التـاسع عشر

وإزداد خلال الثلاثين عاماً الأخيرة ساعد على زيادة الاهتمام بهذه المدن العربية والإسلامية.

• هل تركزت هذه الدراسات والأبحاث على موضوعات بعينها ؟

– نعم.. وأهم هذه الموضوعات كانت عن التطور المطلق، وصعوبة التحكم فى هذه المدن، كما أن هناك مشكلة صيانة المناطق والمراكز الأثرية القديمة وإنقاذها من التشوه الذى أصابها نتيجة لزحف المدنية.

• وصف بعض المؤرخين القاهرة على أنها عاصمة الفوضى وسوء التنظيم. فما مصدر هذه السلبية ؟

– كما قلت كانت القاهرة أكبر مدينة فى العالم العربى والثانية بعد إستانبول، فقد وصفها بعض المؤرخين بسلبية، إذ كان عدد سكان القاهرة فى ذلك الوقت حوالى ٢٠٠ ألف نسمة، وعدد سكان باريس حوالى ٥٠٠ ألف أى من الملاحظ أن الفرق لم يكن كبيراً، وقد رأى هؤلاء المؤرخون أن هذه الفترة تميزت بالعنف والفوضى، لكن فى الواقع كان هناك ترابطا ما بين التاريخ وتركيبة هذه المدن التى قامت أساساً على التكوين المنطقى، فأنا أرى على عكس ما قيل من فوضى وسلبية أن هذه المدن العربية لم تتعرض للزوال، فمنذ القرن السابع عشر والثامن عشر احتفظت المدن بطابعها المميز، كما تطورت وبشكل مستمر فمثلاً مساحة القاهرة قد اتسعت منذ القرن السادس عشر بنسبة ٤٠٪ وحتى القرن التاسع عشر كما أن عدد السكان قد ازداد وبنفس النسبة.

• ماذا تعنى بالشكل المنطقى للمدينة ؟

– هذا يوضح أن تركيبة المدن كانت تتوافق مع نوع الأنشطة، هذا المجتمع الذى قام أساساً على التجارة أدى إلى إنتشار المبانى أو الوكالات، مثل وكالة الغورى وغيرها، كما نجد أن الشوارع كانت واسعة عريضة، المواصلات متوفرة وتتجه إلى خارج المدينة، فهذا البنيان التقليدى كان منطقيًّا أيضاً لأنه كان يلبى احتياجات السكان، فمساحة القاهرة امتدت خمسة كيلومترات شمالاً أو جنوباً، وكيلومترين ونصفا شرقاً وغرباً، ومع ذلك لم يعان الناس من الانتقال حتى وإن كانت الوسائل بدائية، ففى القاهرة كان هناك مواقف كثيرة للركوب مثل موقف بولاق التى ساعدت الناس وسهرت على راحتهم وسهلت لهم سبل الانتقال إلى كل مكان.

• هل كان للطبقات الاجتماعية دور فى تميز هذه الحضارة العربية الإسلامية ؟

– انقسم المجتمع إلى طبقات فإلى جانب الطبقة البرجوازية كان هناك التجار ثم الطبقات الشعبية، وعلى رأس كل هؤلاء كانت الطبقة الحاكمة من الأمراء.. وأذكر أن فى عام ١٧٨٦ عانى الشعب من المجاعة فوقف «حسين بك» أمام الأمير «إبراهيم بك» يقول: «إننا جميعاً لصوص مراد بك يسرق وأنا أسرق مثلكم»، هذا التاريخ السياسى الشعبى لا يمكن فصله عن الحضارة القديمة، وقد عرفت الكثير من الأحياء الثورات والعنف مثل ما حدث فى حى الحسينية والأزهر.

• أذكر عبارة قالها «حسن الحجازى» فى عام ١٧١١ فى وصف القاهرة إذ قال: «هناك سبع سيئات فى الشارع، أولاً: التبول والقاذورات والوحل والأتربة ومعاكسة المارة والضوضاء فإن سكان هذه الأحياء يشبهون العفاريت التى تسكن المقابر» هل تشعر أن مدن اليوم وبعد طيلة هذه السنوات قد حققت تقدماً ؟

– إن ما تعانى منه القاهرة اليوم تعانى منه كثير من دول وعواصم العالم، والغريب أننا عندما نسافر اليوم إلى أى دولة وبمجرد أن نخرج من المطار فإننا نشعر وكأننا لم نغير المكان وهذا لأن المشكلات أصبحت واحدة، ما تعانى منه أى دولة أصبح معاناة العالم كله، إن ما حدث فى القاهرة يحدث فى باريس فى لندن وفى الولايات المتحدة، فأمام التطور الهائل إزداد عدد السكان فى الخمس عشرة سنة الأخيرة بشكل واضح وملموس، لذلك فأنا أرى أن مشاكل مدينة مثل القاهرة بدأت ومنذ ثلاثين عاماً وأنا لا أقترح أى حلول فردية ولكن لابد من حل شامل ليس للقاهرة فقط ولكن لمصر كلها، فمثلاً على المستوى الزراعى لابد من قرار حاسم يمنع البناء فى المناطق الزراعية كما لابد أن يمنع أى بناء جديد داخل العاصمة، ولكن لابد من التوسع الأفقى وبناء المدن الجديدة، ويتطلب ذلك توفير المواصلات لسهولة الربط بين المدن، وهذا يعنى توزيع السكان على أكبر بقعة من الأرض والبعد عن المركزية، فكيف يمكن أن تنظف الشوارع مع هذا التكدس السكانى؟ المشكلة متعددة الجوانب ولن تحل إلا بالتنظيم والتنسيق مع كافة

الوزارات، لذلك أقول إن مشكلة القاهرة ليست محلية لكنها مشكلة دولية.

• ما هو الشيء الذى يمكن أن يقضى على أى مدينة من المدن؟

– الذى يقضى على مدينة ليس السكان فقط ولكن الآثار العضوية لتزايد السكان، هذا إلى جانب سوء إدارة الأحياء فكيف يعنى بالشوارع والمبانى والمناطق الأثرية ؟

• كيف يتحقق إذن هذا التوازن المفتقد الذى كان موجوداً فى الماضى ؟

– لابد أن تكون مسألة البناء أقل عناء على الناس مع الابتعاد عن تقليد الغرب، ولكن على العكس لابد من الرجوع مرة أخرى إلى التقاليد العربية والإسلامية فى فن البناء وإذا قلت لابد من تجديد وصيانة المناطق الأثرية فهذا لا يعنى أننى أريد أن أحول القاهرة إلى متحف، ولكن ما حدث من مجهودات الدكتور «أحمد قدرى» رئيس هيئة الآثار يعتبر لمسة ليس فقط جمالية ولكن لمسة أصلية تعبر عن مدى الإعتزاز بقيمة هذه الحضارة العربية التى تعيش عليها مصر الآن فإن هدم أى حى أو مبنى قديم يعتبر جريمة لا تغتفر.. وأنا أعتقد أن باريس تعانى اليوم من نفس المشكلة لأن الحفاظ على القديم رسالة مقدسة.

• هل هناك تعاون فرنسى مشترك فى هذا المجال ؟

- فى بداية عام ١٩٨٦ قمت بتكوين «معهد الأبحاث والدراسات للعالم العربى والإسلامى» وهذا المعهد يضم حوالى مائة باحث وعالم، يعملون وبالتنسيق مع باقى المعاهد الفرنسية المتخصصة للاجتماع بالمدن العربية القديمة.. وقدمت إلى القاهرة للاتصال بالجامعات والهيئات المصرية للتعاون فى هذا المجال الهام وحتى يعود للقاهرة وجهها الحاضرى العربى.

أكتوبر ١٩٨٦

السفر مثل القراءة إذا بدأ لا يتوقف أبداً!!

هيجو لوتثر

فى إطار التبادل الثقافى المصرى السويسرى قام بزيارة القاهرة الكاتب السويسرى الكبير «هيجو لوتثر» ليتعرف ولأول مرة على وضع الأدب المصرى فى السنوات العشر الأخيرة، لتثار على الساحة الثقافية والأدبية عدة مشكلات هامة مثل: مشكلة العامية والفصحى فى مصر، وربطها بمشكلة اللغة واللهجات فى سويسرا، والأشكال الأدبية التى أخذها الأدب العربى الحديث عن الآداب الأوروبية فى محاولة لمعرفة الأصيل منها والمقتبس ومنابع الأدب القومى، كما نتصوره فى بلادنا، والمواجهة بين قضية الإلتزام أو الفن للفن، ولوتثر الذى يعتبر رائداً لجيل جديد من الكتاب، يحتل الصف الثانى بعد الكاتبين السويسرين «فردريك ديرنمات» و «ماكس فريش»، وقد قدم لوتثر فنون القصة القصيرة والرواية، كما حصل على عدة جوائز أدبية من باريس وسويسرا. ومن أهم أعماله التى ترجمت إلى عدة لغات: «الصرف الصحى» و«عاقدة الإكليل» و«نوح» و«المحصن» و«عالم عجيب». سألته:

• بما أنك عملت محرراً فى عدة صحف ومجلات.. فهل يمكن أن نقول إنك دخلت عالم الأدب من باب الصحافة ؟

– هذا خطأ شائع أود تصحيحه، لقد قدمت أول كتاب لى وأنا فى سن تقارب الثلاثين، لذلك قيل إننى بدأت كتابة الأدب متأخراً جدًّا، لكن هذا غير حقيقى لأننى كتبت قبل هذا القصة القصيرة التى نشرت فى العديد من الصحف والمجلات، لقد جذبنى العمل الصحفى لسببين: أولاً لأن التحقيق الصحفى أتاح لى فرصة السفر المستمر، ومن ثم التعرف على العالم الخارجى، أريد أن أقول إن السفر مثل القراءة بمجرد أن يبدأ فإنه لا يتوقف أبداً، فإذا بقيت فى بيتك فأنت لا تعرف كيف يبدو العالم، وإذا قرأت كتاباً واحداً فأنت تعرف الحقيقة، لكن إذا قرأت أكثر من كتاب فإن الحقيقة لا تنتهى أبداً. ثانياً: أن الصحافة قد سمحت لى بتجديد موقفى تجاه وطنى، وهنا بدأت أكتب انطباعاتى الشخصية، فتولد الفنان بداخلى، فالكاتب أكثر حرية عندما يكتب الأدب والصحفى ملتزم أمام الأحداث، لكن الأسلوب الصحفى أكسبنى سلاسة وبساطة التعبير فكنت أقرب إلى قلب القارئ.

• حول أزمة الرواية فى العالم ماذا تقول ؟

– يقال إن الرواية قد ماتت، لكن الواقع يثبت أنها باقية وستظل، لأن الرواية شكل أدبى متفتح، شامل واسع غير محدود نستطيع أن نقدم من خلاله عالماً بأكمله. والشكل الأدبى يفرض نفسه على الكاتب، فعندما يحدث أن أعيش هذه اللحظة أكون فى منتهى السعادة، فى البداية تأتى الفكرة ثم الإلمام فكل كاتب حر فى اختيار الجملة الأولى التى يكتبها ثم يأتى التحليل، هذا من منطق البداية.. وفى النهاية نصل

لما كنا نريده ولكن بطريقة مختلفة، وهذا ما أسميه الوصول إلى الحقيقة، فى هذه الحقيقة التى يضطر الكاتب أحياناً لتصحيحها للوصول إلى الواقع. وهذا ما يسمى بـ «حقيقة الرواية» التى تنبع فى لحظة معينة إن رسالة الكاتب تحدد فيما يكتبه وليس فى ظهوره وسط الشخصيات فالكاتب الناجح هو الذى يختفى وراء أعماله.

• هل يصح أن يكون الأديب ناقداً ؟

– قليل جدًّا من الأدباء فى سويسرا يمارسون النقد، لكن يجب ألا نخلط بين مناقشة العمل الأدبى وإبداء الرأى، وبين النقد المتخصص..

• هل أنت متفائل أم متشائم فى أعمالك الأدبية؟

– إذا استعرضنا تاريخ العالم بكل ما فيه من حروب وأحداث وكوارث لا نجد غير التشاؤم فلماذا يقتل الإنسان أخاه الإنسان؟ الغريب فى نفس الوقت أن الإنسان يعرف أن مصيره الزوال، لكن لا شىء يتغير بل الأمل يتجدد لذا كانت أعمالى الأدبية خليطاً من هذا التفاؤل وهذا التشاؤم، إنها الرغبة فى الحياة وعلى الرغم من كل ما يحيط بنا من فظائع فإن مشاكل الإنسان أصبحت واحدة.. لذا تشابهت الأفكار والأحاسيس وإن اختلفت المجتمعات.

• لماذا لا نعرف الكثير عن المرأة الكاتبة فى سويسرا ؟

– لقد اختلف الأمر الآن، وهناك العديد من الكاتبات بدأن يأخذن طريقهن الصحيح، لكن الغريب أن أعظم كتاب سويسرى كلاسيكى هو كتاب «هايدى» و الذى كتبه «يوهان شبيفى» فهناك حركة أدبية

نسائية حديثة تتناول مشاكل المرأة ليس من قبل الموضة، ولكن من واقع التجربة، وهنا يمكن أن أضيف أننى كرئيس لاتحاد الكتاب السويسريين قد غيرت اسم الاتحاد هذا الصيف فأصبح «اتحاد الكاتبات والكتاب السويسريين» ربما يبدو هذا غريباً لكننا أردنا أن نؤكد على الدور الذى تقوم به المرأة الكاتبة اليوم، فإن ٤٠٪ من الكتاب فى سويسرا من النساء وأعتقد أن قصور المرأة فى مجال الثقافة له أهمية خاصة، وذلك لتمتع المرأة بقدر من الحساسية ورقة المشاعر.

• ما هو إذن الدور الذى أعطيته للمرأة فى أعمالك ؟

– تحتل المرأة فى أعمالى المكانة الرئيسية، فحولها يدور كل شيء فمثلاً فى رواية «عاقدة الإكليل». اخترت شخصية امرأة كان عليها أن ترعى طفلها الوحيد، وعندما تمر بتجربة عدم الثقة فى الحب والحياة، تبحث عن شيء آخر فتكتشف أنها لا تستطيع أن تعتمد إلا على الموت، فتبدأ فى صناعة الأكاليل الجنائزية مقتنعة أن كل شخص يستحق واحدة، فالمرأة بالنسبة لى ليست مادة للتسلية، ولكن المرأة الشخصية التى تعرف المعاناة.

• ما الذى يقلقك فى هذا العالم ؟

– أتمنى أن أرى عالماً خالياً من الإنسان الذى يعانى بسبب اعتبارات هو غير مسئول عنها، فمثلاً مسألة التفرقة العنصرية، فما ذنب الإنسان الذى يولد ملوَّناً حتى يهان أو يعذب؟ ونفس الشيء بالنسبة للمرأة لماذا تعانى أو تهاجم لمجرد أنها امرأة؟ أريد عالماً يكون كل فرد فيه

مسئولاً عن تصرفاته لذا كنت دائماً ضد هؤلاء الذين يصفون الأدب الذى تكتبه المرأة أنه أدب نسائى.. فهل يعقل أن نقول مثلاً إن هناك طبًا نسائيًا؟ أو هندسة نسائية؟ وعلماً نسائيًا؟.. وهكذا.. لكن على العكس المرأة تتمتع بحساسية أنثوية لا مثيل لها.. ولا دخل للجنس فيها، فالحقيقة فى النهاية لا تعرف سنًا ولا تعرف جنساً.

- ماذا عن مشاريعك القادمة؟

– سأعود مرة أخرى إلى مصر لأقترب أكثر من الشعب لأعيش معه حتى استطيع كتابة رواية جديدة عنه، فعندما أنظر إلى الآلهة الفرعونية أو عندما أدخل دور العبادة مثل المساجد أشعر بالمشاعر الإنسانية وهى تجتاحنى، فالثقافة وسيلة للفهم والتعرف على الحضارات الأخرى.

يناير ١٩٨٨

الكاتب الذى استوعب كل الموضوعات

ألبرتو مورافيا

كاتب إيطالى ولد فى مدينة روما عام ١٩٠٧ بدايته الأدبية عرفت بديوان من الشعر كتبه فى عام ١٩٢٠ ، لكنه ترك سريعاً الشعر وعمله فى مجلة «الجديد» واتجه إلى الرواية فقدم «اللامبالون» فى عام ١٩٢٩، حيث تأكدت موهبته فى التعبير عن الشعب الإيطالى وخاصة الطبقة البرجوازية الصغيرة معلناً عن الواقعية الجديدة والوجودية، ونفس الشىء بالنسبة لمجموعة قصصه القصيرة التى ظهرت فى عام ١٩٣٥ .. بعد أن استوعب كل الموضوعات والفنون (من الوجودية إلى الرواية الجديدة) لقد جعل من رواياته نوعاً من التأمل والسرد، تتناول كل المشكلات الثقافية والاجتماعية فى العالم الحديث، أسلوبه الواقعى كان مدفوعاً أحياناً بقوة الكاريكاتير إلى درجة السريالية، تأثره «بفرويد» ظهر بصفة خاصة فى «أنا وهو» فى عام ١٩٧١ .. والعديد من كتبه قد تحولت إلى أفلام سينمائية.

قيل عنه إنه الرجل الذى يحب النساء، ومشكلة هذا النوع من الرجال أنهم يخافون المرض ويعشقون الأم، و «ألبرتو مورافيا» لم يكن يحب أن يتحدث لا عن الماضى ولا عن الموت، فقد كان يعيش كلية

فى الحاضر، ليس فى حالة شباب ممتد ولكنه دائم، وعلى ما يبدو أن الماضى والموت قد فهماه جيداً، فالماضى لم يظهر له إلا من خلال أعماله والموت فاجأه بعنف تماماً كما يقطع التيار الكهربائى بلا ضجة، فقد ولد مورافيا فى روما، كتب روايته الأولى وهو فى السابعة عشرة من العمر، لكن هذا لم يمنع أبدا أن تكون بدايته أساساً بكتابة الشعر.

وقد ولد مورافيا مريضاً إذ أصابه الشلل وهو فى العشرين، لكن على فراش المرض تفجرت عبقريته الإبداعية، واستطاع أن يقاوم الألم، إذن المرض وأمه. كانت أمه جميلة شديدة الحسن تتعطر وتتزين أمام ابنها، فأدرك أن الأسرة نواة اجتماعية هامة ولم يغادر بيت أهله حتى سن الثالثة والثلاثين من العمر، وهذا يعنى أن فترة مراهقته قد دامت طويلاً. بعد أن استوعب كل الموضوعات وكل الفنون أى من الوجودية إلى الرواية الجديدة، قدم «فتاة من روما» ، «الملل» فى عام ١٩٦٠، «الاحتقار» فى عام ١٩٥٤ ، «المتمردة» فى عام ١٩٤٨ ، «الملتزم» فى عام ١٩٥١ ، كما ترجمت له العديد من القصص القصيرة التى ظهرت فى عام ١٩٣٥ .. وفى عام ١٩٨٣ قدم عملاً تاريخيًّا كبيراً، كما تحولت بعض قصصه للمسرح من بينها «بياتريس» التى كتبها فى عام ١٩٦٥ .. عندما التقى بزوجته الأولى لأول مرة كان فى التاسعة والعشرين، إذ كان فى أوج شهرته ولم تكن الأديبة «إلزا مورانت» معروفة بعد أو كانت فى بداية طريقها، وتزوجا فى عام ١٩٤١ ، زواجاً دينيًّا وعلى الرغم من إلحاده، وقد كتب مورافيا عن نجاح «إلزا» فيما بعد يقول:

«لقد رأيت موهبة رائعة تنمو تحت عيناى» لكن خلال تلك الحياة المشتركة بدأت «إلزا» تتهمه بالأنانية وأنه لا يعرف كيف يحبها، فانفصلا كل عن الآخر حتى عرفت هى رجلاً آخر.

أما المرأة الثانية فى حياته فقد كانت «داتشا مارينى» التى كانت تصغره بحوالى ثلاثين عاماً فجمعت بينهما تلك العلاقة الأبوية ولأنها كانت مناضلة فى مجال تحرير المرأة رأت فى مورافيا الحليف الوحيد فى جيله الذى يفكر مثلها. وقد أصبحت هى بعد ذلك شاعرة ونالت جائزة «فورمنتور» وأحسن كاتبة سيناريو فى الستينات، بعد أن عاشت مدة عشرين عاماً استمر هو خلالها فى السفر مع «بازولينى» فاتجهت هى إلى صحبة النساء، وفى نفس ذلك الوقت توفيت «إلزا» بعد أن ظل بجانبها يعتنى بها فى سنوات المرض، فقد قالت له فى إحدى نوبات ثورتها وغضبها: «أعرف أنك سوف تكتب يوم موتى» كان يكتب أربع ساعات كل صباح لكن فى يوم موتها لم يجلس على مكتبه، وعندما التقى «بكارمن ليرا» التى كانت تصغره بحوالى سبعة وأربعين عاماً قال لو كان يمكن أن يوجد جنس بدون حب، لم يكن يوجد حب بدون جنس، وتزوج من كارمن التى أثارت إحساسه بالعدوانية، لقد سخر مورافيا من هذا الإحساس كثيراً لكن من المرجح أن تكون كارمن قد عانت منه، وتركها مورافيا حرة فى إقامة علاقات عاطفية متعددة، كانت إحداها تلك القصة المعروفة «بوليد جنبلاط»، لم يكن مورافيا أبدا ذلك العاشق اللامبالى، لكنه عرف دوراً أساسيًا للرغبة أكثر أهمية من الإحساس باللذة والغيرة التى قد تلفت نظر

المحبوب وهى الإخلاص الذى كان بالنسبة له أقوى من كل شىء، وبدأت كارمن تكتب هى الأخرى وقال مورافيا عنها إنها راوية شجاعة، أما خادمته البولونية فهى التى عثرت عليه متوفيا، وكانت «داتشيا» هى التى واجهت كاميرات التليفزيون لتعلن نبأ وفاته، بينما كانت «كارمن» فى أغوار المغرب لتأتى تحت ستار الليل لتبدأ مراسم الجنازة الرسمية التى لم يكن يريدها من أحبوه، والتى استغلها منافسوه ليمحوا أمام الناس إساءتهم له.

لم يكن غريباً أن يدخل الحياة الأدبية عن طريق الشعر، مثله كمثل العديد من الأدباء والكتاب. كان هذا عندما قدم «ألبرتو مورافيا» ديوانه الأول فى عام ١٩٢٠ .. أما عبقريته الإبداعية فقد تفجرت مع الرواية من خلال «فتاة من روما» و «زمن اللامبالاة» و «الملل». لكن ما أثار فضول الناس خاصة الصحفيين منهم هو إعلان خبر زواجه منذ سنتين من «كارمن ليرا»، لم تكن دهشة الناس، لأن الأمر يعنى أعظم الروائيين فى كل اللغات، أو لأن الزوجة الجديدة جميلة حسناء، لكن لفارق السن بين الاثنين حوالى نصف قرن من الزمان. لذا سألت مدام «مورافيا»:

- كيف كان لقاؤك الأول بالكاتب الكبير ألبرتومورافيا ؟

– كان لقاء طبيعيًّا للغاية، كنت مع صديقة لى صحفية ابنة شقيق «بيير بأولو بازلينى» كنا على الشاطئ فقالت لى إن «مورافيا» هنا لماذا لا تجرين معه حديثا صحفيًّا؟ فى ذلك الوقت كنت أعمل فى جامعة

روما، وبالفعل اتصلت بالكاتب الكبير، وطلب منى أن أكتب له الأسئلة التى أريدها ثم التقينا، وكان لنا حديث جاد جداً عن الأدب. تحدثنا كثيراً، وفى اليوم التالى اتصل بى تليفونيا ليدعونى للذهاب إلى السينما، ووافقت، ثم سافرنا معه لأجد نفسى معه باستمرار، كنت سعيدة بالقرب منه، ثم أقمنا معاً حتى عام ١٩٨٦ ، وأذكر ذلك اليوم عندما قال لى لماذا لا نتزوج؟ كان قرار الزواج وليد لحظة، خاصة أننا كنا نقيم معاً منذ أربع أو خمس سنوات إنه شىء مسل بالفعل لأننى من النوع الذى يصعب معاشرته، هو أيضا ليس سهلاً، لكنه يبذل الجهد حتى نبقى معاً، أحاول الرحيل أحياناً لكنه يصر على أن ما بيننا يجب أن يستمر، فلولا هو ما كنت هنا الآن.

● كانت ملاحقة الصحفيين لكما معاناة حقيقية، ماذا تقولين عن هذا الفضول ؟

– كان هذا الفضول والتدخل فى الحياة الخاصة بسبب فارق السن الكبير بيننا.. هذا الفارق حوالى ستة وأربعين عاماً، لكن ما يهمنى هو العلاقة الإنسانية لأننى كرهت دائماً من يصغروننى سنًّا، فأنا لا أتحملهم وأكره هذا النوع من الرجال فلا أطيق إلا الرجل الذى يتفوق علىّ. ولا أتحمل رجلاً فى الثلاثين يقول لى هيا لنذهب إلى المرقص ، شىء من هذا القبيل، فإن زوجى الأول كان يكبرنى بعشر سنوات أيضاً وهذا يعنى أن فارق السن لا وجود له عندما نشعر بالتوافق مع إنسان، فأنا أحب بعقلى وليس بجسدى فقط، الحب أتخيله وزوجى يعرف

كل شيء عنى خاصة ما أتعرض له من بعض القصص، إننى امرأة متحررة أسافر كما أشاء، ولا أدعى الإخلاص، ولكن هذا ليس لأن زوجى يكبرنى سنًّا، فلو كان حتى فى الثلاثين لتصرفت بنفس الطريقة، أنا أومن بالحرية المطلقة للفرد.

• هذا يعنى أنك تحترمين حرية الطرف الآخر ؟

– نعم بالتأكيد هو أيضاً له مطلق الحرية، فأنا لم أعرف طعم الغيرة فى حياتى، فكل إنسان حر فى تصرفاته، إن شخصيتى بطبعها لا تجنح إلى السيطرة أو التملك، لكننى فهمت أخيراً أن الرجال لا يحبون ذلك ويغضبون إذا لم تشعر المرأة بالغيرة تجاههم، فهذا يعنى بالنسبة لهم عدم الاكتراث، لكن الغيرة إحساس مؤلم وأنا أكره الألم.

• سألت الكاتب الكبير «ألبرتو مورافيا». أريد أن أعرف رأيك فى الغيرة ؟

– الغيرة هى الحب، الحب نظهره لكن الغيرة يجب أن نخفيها لأنها غباء، الحب والغيرة شيء واحد، من الصعب أن نجد حبًّا بدون غيرة، فإذا أحببنا إلى درجة كبيرة يمكن أن نسيطر على مشاعر الغيرة بداخلنا، الحب إحساس سام ومثالى، لكن الغيرة بعيدة تماماً عن كل هذه المعانى فلا حل أمام الغيرة سوى إخفائها.

• فى الفترة الأخيرة من كتاباتك عبرت عن أحاسيس الشباب فى سن غير سن الشباب، وكتبت عن العلاقات الجنسية بين الناس، فهل هو الفراغ العاطفى الذى يعيشه العصر ؟

– إننا نفعل شيئاً واحداً فى حياتنا، إننا نحيا، نعيش مثل الزهور ثم نموت، هناك ورود جميلة وأخرى قبيحة، لكن فى النهاية المصير واحد، لم ألم الشباب فى رواياتى لأننى لا أحب التعميم، الناس دائماً ماديون و٩٥٪ من الإنسان حيوان، إذن فهو مادى، وهذا الإقتراب من الحيوانات أنا أحبذه، الحيوانات مخلوقات جميلة لا يفعلون شيئاً بدون معنى، ألا ترى أن الكلاب والقطط فى الشارع يفعلون ما يجب أن يفعلوه، فى كثير من الأحيان على الإنسان أن يتعلم من الحيوانات، الإنسانية لم تتغير عبر التاريخ لكن اللغات هى التى تغيرت، تماماً مثل جسم الإنسان عار مثل تمثال رمسيس أيضاً عار، فهل هناك فرق؟ بالطبع لا، لكننا نرتدى ملابسنا بطريقة مختلفة، نتحدث بطريقة مختلفة، إذن فهناك أشياء تبقى كما هى وهناك أشياء لابد أن تتغير.

• أنت أديب خدمته الجغرافيا لأنك مغروس بقدميك فى الشرق، فهل استطعت أن تمزج بين العادات والتقاليد الشرقية ومفاهيم الثقافة الغربية ؟

– لقد سافرت كثيراً وقرأت كثيراً، فإننا نسافر بالجسم والعقل معاً ولكننى ما زلت كاتباً أوربيًّا، أعبر عن الفكر الأوروبى، لست واقعيًّا لكننى كاتب وجودى مثل «ألبير كامى» و«جون بول سارتر».

• كيف وقد هاجمت «سارتر» ؟

– هاجمته فى نقطة واحدة لأننى لا أومن بالالتزام فى الفن. والالتزام فى الرواية معناه البحث عن الدعاية الخاطئة، لكن المواطن

يلتزم إذا كان الوطن فى خطر أو الحرية فى خطر، فى هـذه الحالـة هـو يتطوع كمواطن وليس ككاتب.

• قلت إنك لم تعرف الكثير عن كتاب اللغة العربية، لكن هناك الكتاب المظلومين، هـم كتـاب شمـال البحـر المتـوسط، إنهـم يكتبـون مفاهيم لا يفهمها أصحاب اللغة ويستخدمون لغة لا يفهمهـا شعبهـم، ماذا تعرف عن هذا النوع من الأدب ؟

– لم أعرف عن الأدب العربى إلا الكـلاسيكى منـه مثـل ألـف ليلـة وليلة والذنب ذنبى، لكننى قـرأت القـرآن، جـذبنى كل شىء فيـه لأنـه حياة بأكملهـا، وقـد أقمت مقارنـة بين زيـارة ملكـة سبـأ فى الإنجيـل والقرآن، ووجدت أنه فى الإنجيل كانت زيـارة دولـة وفى القـرآن كان الحب، ومن كتـاب شمـال أفريقيـا قـرأت للمغـربى الحائـز على جائـزة «جانكور» الأدبية لهذا العام، وهو «الطاهر بـن جلـون»، أعجبنى كتابـه لجرأته لكن السياق بدا لى ميكانيكيا فى بعض الأحيان نتوقـع الحدث، وهذا عيب فى الكيان الروائى، أما من حيث اللغـة، فلـم يعـد مشكلـة الآن اختلاف اللغات، وليس جديداً علينـا فمنـذ القـدم كانت اللغـات المستخدمة هى اللاتينية واليونانية، وقد كتب الإيطاليون باللاتينيـة حتى عصور النهضة، ويمكن أن أضرب مثـلاً لـذلك: أن زوجتى «كارمـن» أسبانية الأصل لكنها تكتب الإيطالية فلا توجد أفكار أسبانية أو أخرى مصرية هناك الفكر الإنسانى ككـل..

• سألت مدام «مورافيا» عن روايتها الأولى فقالت:

– صدر أول كتاب لى فى عام ١٩٨٧ أى منذ ثلاثة شهور وهى رواية بعنوان «جورجيت» التركيبة معقدة بعض الشىء لأنها رواية غير عادية لا استخدم فيها أية أسماء سوى اسم البطلة، كما أحكى الماضى والحاضر فى نفس الوقت، من هنا كان للكتاب عدة مفاتيح «جورجيت» امرأة تحب السفر تتألم، تحزن وتحب، أسأل دائما إذا كانت قصة حياتى، ولكن لابد أن هناك جزء من الكاتب، الجزء الصادق، البطل رجل شرقى أعطيته اسم «البك» أى السيد.. الأحداث تدور كلها فى الشرق الأوسط الذى عرفته جيداً فكان وصفى للجميع أكثر من جيد.

• ماذا عن السعادة ؟

– إنها أمر صعب للغاية. إننى أحاول على الأقل ألا أكون تعيسة، أنا لا أبحث إلا عن المودة والحب، أما ما عدا ذلك فلا شىء يهم لا المال ولا المهنة ولا النجاح، وربما لأننى لا أفكر فى النجاح فهو يأتينى دائماً، أنا أعيش الحاضر لأن المستقبل لا يهمنى.

• وكان لابد أن أسأل الكاتب الإيطالى الكبير عن رأيه فى السعادة، فقال:

– لا أبحث عن السعادة لكننى أبحث فقط عن التعبير.. فلم أعرف السعادة أبداً.

• هناك نوع من النساء ما زال يصر أنه لابد من الصراع من أجل تحرير المرأة. وأنا أعتبر أن هذا المفهوم دليل على أنهن يشعرن بالعبودية لماذا ؟

– أنا لا استطيع أن ألقى باللوم على الشباب بصفة عامة، الشباب، الجماعة، الشعوب. لكن يمكن أن ألقى باللوم على فرد، على شخص، فأنا لا أحب التعميم، لقد أحببت «سيمون دى بوفوار» و «جان بول سارتر»، لقد اختارا أن يعيشا سويًا لأن الحب يربط بينهما، فاتفقا على ذلك، والحياة المشتركة لا تعنى الحياة السهلة ولكن معناها الحقيقى هى احترام حرية الآخر، فإن علاقة فى الحب هى أيضاً علاقة سياسية. أريد أن أضيف أننى أحمل كل المودة والاستلطاف للشعب المصرى فهو شعب متحضر ورقيق فالشعوب كلها فيها جانب سلبى، لكن من الأفضل ألا نعمل على انتقاد الشعوب لأننا عندما نحب فإننا لا نستطيع أن نحب شعباً بأكمله، ولكن الانتقاد هو تماماً كما ننقد شيئاً جماعيًّا والأمر هنا يصبح عديم المسئولية، فالفرد يمكن أن يكون مسئولاً، يقال إن هذا الشعب مخطئ وليس الفرد مخطى ولكن الفرد يقول الكذب، فأنا أدين بالكثير للمرأة، فالمرأة لها مكانة هامة فى حياة الرجل وخاصة الفنان، إذن فكل النساء اللائى أحببتهن فأنا أدين لهن بالكثير، لقد تزوجت ثلاث مرات الأولى «إلزا» وكانت أديبة وأنا أفضل أن تكون زوجتى كاتبة والثانية «داتشا» وكانت من المناضلات لتحرير المرأة، والأخيرة «كارمن»، فالمرأة تجذبنى دائماً وهذا هو كل شىء. فقط أنا أعرف الحب.

• سألت مدام مورافيا: هل حقيقة أن رجلاً واحدا لا يكفى ؟

– أعرف أن رجلاً واحدا لا يكفى، إننى حرة وأريد أن يكون

العالم كله حر، إنني من أصل أسباني وقد عشنا ثمانية قرون مع العرب، لذا فأنا قريبة دائماً من الشرق. وقد نجحت كتبي كثيراً فقد بيع منها حوالى ٦٠ ألف نسخة، وهذا الرقم يعتبر كثير بالنسبة للكتاب الأول، حقيقة أنها أول زيارة لى للقاهرة، فعندما قلت فى المؤتمر الصحفى إن المرأة مثل الرجل ثار بعض الحاضرين، يقولون إنه يجب ألا أقول هذا في الشرق، فقلت هذا رأيي وقد قيل لى إن المرأة ليست حرة، ولكني أؤكد أن المرأة كائن مثل الرجل تماماً.

فبراير ١٩٨٨

أيتها المرأة المصرية تشجعى

ميشيل بيتور

يقوم الكاتب الفرنسى المعروف «ميشيل بيتور» حاليًا بزيارة مصر التى يعتبرها موطنه الثانى بعد فرنسا، إذ كان قد عمل مدرسًا للأدب عام ١٩٥٠ بإحدى مدارس الوجه القبلى، وعندما كان فى الرابعة والعشرين من العمر حيث بدأ كتابة «المرور من ميلانو» حصل «ميشيل بيتور» على جائزة «رنودوه» فى عام ١٩٥٧ عن كتابه بالمعروف «التحول»، فى هذا الكتاب حافظ الكاتب على وحدة الزمان والمكان، وعبر رحلة قام بها بالقطار من باريس إلى روما، فاختلطت بداخله الأزمنة والمدن والذكريات والمشاعر والأحلام فجاءت كأنها نوع من المناجاة الداخلية مع النفس، لذلك أحس القارئ كأنه قد أصبح شخصية رئيسية تتحرك بين باقى الشخصيات الأخرى، أو أنه أصبح الكاتب نفسه، بدأ بيتور حياته الفنية بكتابة الشعر ثم تحول إلى الرواية الحديثة ومنها إلى الدراسات، وفى كتابه «هندسة المكان» الذى قدمه فى عام ١٩٥٨، استخدم الكاتب الأسلوب الكلاسيكى فى كتابة النثر معبرًا عن حياته فى مصر، وكيف أنها قد أثرت فى مفاهيمه ومشاعره إلى حد كبير. ولتحديد طبيعة تميز «ميشيل بيتور» لابد أن نأخذ فى

الاعتبار نقطتين أساسيتين أولاً كونه مجـددًا للشكـل الأدبى، وذلك بإدخال أسلوب لغوى جديد على الكتابة، ثـم رشاقة تعبيراته التى أخرجت أدب القرن العشرين من عزلته مع احتفاظه بكل خصائصه، مخلصًا مثل «ملارميه» لفن الطباعة، أراد «بيتور» أن يوسع استخدام الحروف والكلمات.. لذلك فقد حرص على أن يجعل من الصفحة قطعة موسيقية أو لوحة فنية، منطلقًا من ان الأدب والرسم والموسيقى جزء لا يتجزأ، فقد كتب أحيانًا بالاشتراك مع الرسامين والموسيقيين.

• كان من المفروض أن تأتى إلى القاهرة منذ عدة سنوات، ولكنك اعتذرت فى آخر لحظة بسبب وعكة صحية مفاجئة.. فهل حقيقة أن صلتك بمصر قوية ؟

– جئت لأول مرة إلى مصر فى عام ١٩٥٠ لأعمل بإحدى مدارس الليسية بمدينة المنيا، ومنذ عشرين عامًا جئت مرة أخرى إلى القاهرة حيث قمت بإلقاء عدة محاضرات وهذه هى الزيارة الثالثة.

• أولا: تتعارض مهنة التدريس مع فن الكتابة الذى يتطلب نوعًا من التفرغ ؟

– على الإطلاق.. لقد بدأت أكتب عندما كنت طالبًا شابًا فى الرابعة والعشرين من العمر، فقدمت «ممر ميلانو» الذى نشر فى عام ١٩٥٤ ثم كتبت ثلاث روايات أخرى، آخرها كان فى عام ١٩٦٠، بعد ذلك قدمت أربعين كتابًا عبارة عن دراسات مختلفة ولأننى أعتبر أن الأدب والرسم والموسيقى جزء لا يتجزأ فقد قدمت أعمالاً عديدة

عن الفنانين، في النهاية أكون قد قدمت للآن حوال مائتى كتاب، وباكورة هذه الأعمال رواية تشكيلية بعنوان «نزهة فى سفح الأهرامات».

• هذه فرصة لأسألك عن رأيك فى هؤلاء الكتاب الذين يكتبون كثيرًا ؟

– أنا أنتمى لهذا النوع من الكتاب القليلين فمن يكتبون كثيرًا بصفة عامة هم من يقدمون القصص البوليسية مثل «جورج سيمنون» لكن من المعروف أيضا أن الكتاب القدامى كانوا يكتبون كثيرًا مثل «بلزاك» و «زولا» و «هيجو».

• ربما إن عملية الخلق والإبداع كانت أكثر سهولة فى العصور السابقة، فلم تكن الحياة معقدة مثل حياتنا اليوم ؟

– على العكس كانت الحياة معقدة أيضًا بالنسبة لهم.. وهذا يرجع لكل كاتب فهناك كتاب يكتبون كثيرًا، ويعملون كثيرًا، ويقدمون فى النهاية أعمالاً ممتازة، ولكى نحدد السلبية والإيجابية على كل كاتب أن يحدد لنفسه مقاييسه الخاصة، فهناك كتاب يكتبون كثيرًا بطبعهم، وهذا لأنهم يشعرون بالحاجة لذلك، فعملية الخلق تفرض نفسها بإلحاح، هذا هو الفن بعينه. لكن عندما يكتب الإنسان بغرض الحصول على المال، فهذا معناه أنه قد تحول إلى حرفى.

• وهل الكاتب صانع أم فنان ؟

– الاثنان معًا.. الفنان صانع أيضا.. لأن الفن تكنيك.. لكن عندما يبتعد الكاتب عن الصدق، فهو يفقد اهتمام الناس، لذلك لابد أن

تكون الصناعة موهبة، والتكنيك دافعه الوحى والإلهام، فإذا كان الفنان موهوبًا نجده مضطرًا إلى الحد من التكنيك، فالإنسان الذى يشعر أن لديه ما يقوله سيفعل المستحيل ليجد الوسيلة التى يعبر بها عن نفسه، والكاتب الذى لا يقرأ له الآخرون سيضل حتمًا طريق المعرفة، فالكتاب الموهوبون هم الذين يقرءون الكلاسيكيات، هم وحدهم الذين يمكن أن يقدموا كل ما هو حديث وجديد.

• أنت تدين إذن الجيل الجديد من الكتاب الشبان لأنهم لا يقرءون كما يجب أن تكون القراءة ؟

– فى كل بلاد العالم يعانى الشباب من المشكلات، لأن الشباب عبر العصور كانت له دائمًا مشاكله، لكن مشكلات الشباب تختلف بالتأكيد من مجتمع لآخر، ففى فرنسا مثلاً يطبع خمسمائة كتاب فى العام للكتاب الشبان، وهذا يعنى أن كل يوم يولد كاتب جديد.

• كيف تتم إذن عملية الاختيار والنشر فى فرنسا ولأى أساليب تخضع ؟

– الأمر شاق للغاية لأن النوعية أو الجودة هى التى تفرض نفسها فى النهاية، فهناك كثيرون يموتون قبل أن يعرفهم أحد، تمامًا كما يحدث بالنسبة للفن التشكيلى، هل رأيت مثلاً الأسعار التى وصلت إليها لوحات الرسام الكبير «فان جوخ» هذا الفنان الذى لم يبع فى حياته سوى لوحة واحدة، فماذا يعنى له الآن فى قبره أن لوحاته تباع بالمليارات.

• ألا يعتبر هذا ظلمًا للفنان؟ ألا يعنى هذا أنه يدفع ثمن موهبته؟

– بالتأكيد هو ظلم.. وأذكر عبارة قالها الشاعر والكاتب «فيكتور هيجو»: «كل تميز أو تفوق لابد أن يدفع ثمنه». وهذا معناه أننا لو تفوقنا فى شىء لابد أن نجد المشاكل، فهذا ما يحدث لأننا إذا تمتعنا بالموهبة فهذا شىء رائع لأن الحياة تصبح أيضًا شيئًا جميلاً ومتعة حقيقية يحسدنا عليها الآخرون، وهذا شىء مؤسف لأننا لا نستطيع أن نستفيد من هذه الموهبة على الوجه الأكمل، فالطاقات غالبًا ما تتبدد فى المسائل الحقيرة.

• فى الشرق تتهم المرأة الكاتبة بأنها لم تحقق نفس المكانة التى حققها الكاتب الرجل، والتمييز الأدبى عند المرأة مازال يتطلب شجاعة فائقة. لكن الذى يحدث أنه عندما تحاول المرأة أن تكون شجاعة، سريعًا ما تتهم وبقسوة.. لماذا ؟

– هذا طبيعى بكل تأكيد.. فإن موقفك هذا يؤكد أنك شجاعة.. وعلى المرأة الكاتبة أن تواصل مشوارها.. لأنه الحل الوحيد أمامها.. هناك كاتبات يتوقفن بعد أول هجوم ويمتنعن، فمن طريق الإصرار فقط يمكن أن تتغير المسائل ومن العمق.

• هل أعتبرها نصيحة للكاتبات المصريات ؟

– نعم.. لتسع المرأة المصرية فى طريق الشجاعة.. أقول أيتها المرأة الكاتبة تشجعى!!

• لكن كيف تتحدد مسؤليتك ككاتب كبير؟ وماذا قدمت للمواهب الجديدة ؟

– إذا حدث وتعرفت على أعمال هؤلاء الكتاب الشبان ووجدت أن هناك أشياء تستحق النشر، فأنا أقدم لهم يد المساعدة بلا تردد، وقد حدث هذا بالفعل أمام بعض الأعمال الجيدة، والعون هنا يكون على شكل إما مساعدتهم على الانتشار أو الحديث عنهم والتعريف بهم، فأنا لا استطيع أن أساعدهم على الكتابة، بهذا شيء آخر، لكن ربما إن اعمالى قد ساعدتهم على الكتابة، ثم لمجرد أننى أحمل كل الحب للشباب فهذا يشجعهم أيضًا على العمل الجاد، فإن الكتابة عمل فردى وعلينا أن نحل مشكلاتنا بأنفسنا وليس بالاعتماد على الآخرين.

• هل يعنى هذا أن يكون لكل مبدع أستاذ؟ فهناك مثلاً من يقولون إنه لا أستاذ لنا ؟

– هذا النوع من الكتاب لا أصالة لهم، لأنهم يكتبون عن طريق الاستيلاء أو يعتمدون على التجميع من هنا وهناك، وأعمالهم لا تعتبر تأملات عميقة أو إنجازات لكتاب كبار وللأسف إن هذا النوع يتصور النجاح، لكن حقيقة الأمر أنهم لم يعرفوا التميز، والتميز شيء من الصعب تحقيقه، وأنا أقصد بذلك الفن بكل فروعه، الموسيقى، الفن التشكيلى، والأدب، حتى الفن الفلكورى، فهؤلاء الكتاب الشعبيون يتمتعون بموهبة جديرة بكل احترام، ويمكن أن نتعلم منهم الكثير، هؤلاء الفنانون لم يتمتعوا بحظ التعليم أو الثقافة، لكنهم عظماء، لأنهم

صنعوا لأنفسهم ثقافة خاصة وعميقة، فالفلاحون واليدويون الذين يقدمون أعمالاً يدوية فنية لم يزوروا أى متاحف أو معارض ولم يتعلموا تاريخ الفن أبدًا.

• هل لكتاب اليوم رؤيا سياسية ؟

– يرتبط الأدب ارتباطًا وثيقًا بالحياة السياسية، لكن لابد أن يحتفظ الكاتب على مسافات معينة بينه وبين السياسة، ولأن السياسة تمر مثل البرق، فالمقال السياسى سريع النسيان، أما الكتاب فهم أناس أكثر جدية من الساسة، وهذا لأنهم يعملون بعمق، وبدون شك إن السياسة قد تصبح في لحظات ما شديدة الخطورة لذا فهى حائل أمام الكاتب فلا يستطيع أن يتقن عمله الإبداعى، والسياسة قد تضطره للانحياز أحيانًا لجانب ما، لكن مع ذلك يمكن أن أقول إن هناك كتابًا نجحوا فى أن يكون لهم دور هام فى الكثير من الأزمات.

• معنى ذلك، هل يمكن للكتاب توجيه سياسة دولة ؟

– هذا جائز فى بعض الحالات، وفى بعض الأزمات يمكن أن يكون للكتاب دور حاسم وفعال وأكبر مثال على ذلك ما حدث فى فرنسا، فهناك كتاب مثل «هيجو» و «زولا» كان لهما دور سياسى هام فى اللحظات الحرجة من تاريخ فرنسا. لكن على الكاتب أن يظل بعيدًا عما أسميه الدعاية الانتخابية.. فالانتخابات مسائل بعيده عن الجدية.

• حقيقة أن الكتاب الفرنسيين يعيشون الآن فى عزلة؟ أى يتجنبون وسائل الإعلام ؟

– أعتقد أنها حقيقة بالنسبة لبعض الكتاب، لأن العمل الأدبى الجيد لكي ينمو ويتطور فهو فى حاجة إلى الهدوء والصمت. فمن الصعب جدًّا كتابة شعر جيد وكتاب ممتاز، كما هو من الصعب جدًّا عمل أى بحث علمى، فالكاتب يتناول موضوعات هامة يمكن أن تكون لها أهمية سياسية حاسمة، فلابد من العمل الشاق حتى يكون للكاتب معمله الخاص، أما عن وسائل الإعلام فلها دور خاص وذات أهمية، ولكن بشرط ألا نبحث عنها، ولا نجرى خلفها.

• هل الكاتب ملك لقرائه ؟

– نعم.. بما أننى أكتب للقارئ، أى أكتب له، فهناك دائما ميثاق بين الكاتب وقرائه وعليه ألا يحبطهم أبدًا، يمكن أن يقرأ الناس أشياء لا يفهمونها، يمكن أن يتوه القارئ لكن يجب ألا يصاب بالإحباط، وهذا معناه أن يستمر القارئ فى احترام الكاتب، وهذا أمر صعب للغاية، لأن كثيرًا من الناس يستغلون وسائل الإعلام للتشنيع على الكتاب واتهامهم بالفساد والفسق.

• وماذا يفعل الكاتب حتى لا يحبط قراءه ؟

– على الكاتب أن يكون شجاعًا، أن يكون خالقًا مبدعًا، أن يكون صاحب موهبة حقه.

مارس ١٩٨٨

لا حياة.. بدون ثقافة!!

برنار مالوزا

لم تعد الثقافة نوعًا من الرفاهية.. بل هى لازمة وضرورة حيَوِيَّة للتخلص من العديد من المشكلات التى يعانى منها عالم اليوم، لذا فهى لم تعد مقصورة على فئة أو طبقة دون أخرى، وأيدولوجية الثقافة تكمن فى نظرة الإنسان وكيفية تعامله معها، ولأنها ضرورة لاستمرار الحياة فقد أصبحت الرئة التى نتنفس بها.. ومن هنا أصبحت الثقافة مسئولية الإنسان وحدة. ومن علامات الوعى والتحضر صدور القرار الذى كان بمقتضاه إنشاء المراكز الثقافية الاجنبية فى مصر منذ حوالى أكثر من عشرين عامًا، ولأن لفرنسا تجربة خاصة فى هذا المجال كان لابد أن نبدأ الحوار مع المستشار الثقافى للسفارة الفرنسية بالقاهرة «برنار مالوزا»..

● أشيع أخيرًا أن النشاط الثقافى الفرنسى فى مصر قد تضائل فى السنوات الأخيرة. فهل هذا حقيقى ؟

– على العكس.. لأن التعاون الثقافى الفرنسى يعتبر من أهم الأنشطة الأجنبية الثقافية فى مصر، وهذا ليس فقط لأننا نعتمد على التاريخ

القديم، ولكن لأننا نركز على شبكة على درجة كبيرة من الأهمية ومن التنوع، ففى مصر يعمل حوالى أربعمائة فرد فى مجال التعاون الثقافى وذلك من خلال عدة مراكز ثقافية منتشرة فى القاهرة والإسكندرية والأقصر، وهذا النشاط يشمل إقامة المعارض الفنية والصحافة والآثار والإذاعة والتلفزيون والسينما، لكن هذا الإحساس بالانكماش يرجع إلى زيادة نشاط المراكز الثقافية الأجنبية الأخرى مثل سويسرا وكندا والنمسا والولايات المتحدة، فلم تعد الرسالة الثقافية مقصورة على فرنسا فقط، ولكنها حركة شملت دول العالم.

- وهل الثقافة تعنى الاهتمام بالكتاب فقط ؟

– إننا نهتم بصفة خاصة بالكتاب بمختلف أجناسه ونوعياته وتنشيط حركة الترجمة، وذلك من خلال تشجيع الناشرين الفرنسيين على الإقامة الدائمة فى مصر وطبع الكتب من وإلى الفرنسية، لكن من خلال مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية، نجد أن التعاون الثقافى الفرنسى قد شمل عدة مجالات أخرى من بينها الاهتمام بالمشاريع الاقتصادية الفرنسية المصرية المشتركة، ومجال الصحة مثل إنشاء المستشفيات وإعداد ممرضات على درجة كبيرة من الكفاءة والقضاء، وخاصة التعليم بكافة مستوياته وتقديم المنح التدريبية، فما فائدة وجود مراكز ثقافية فرنسية فى القاهرة دون الاهتمام بتدريس اللغة نفسها ؟

• هل هذا الاهتمام والتوسع فى التعاون مع مصر يعتبر جديدًا بالنسبة لفرنسا ؟

– عندما كنا نتحدث فى البداية عن العالم العربى كنا نفكر فى المغرب العربى فحسب لكن هناك نوعًا من الحب الغامض بين فرنسا ومصر، فمثلاً إن أعلى نسبة سياح فى العالم هم الفرنسيون الذين يأتون إلى مصر يجيئون إلى مصر عن حب بعد أن جذبهم تاريخ مصر القديمة، والمكانة الرفيعة التى تحتلها الأديان السماوية فى مصر والشعائر التى تشف عن روح الشعب المصرى وبساطة الحياة نفسها وبعدها عن أى تعقيد. لقد كانت حملة «بونابرت» حلمًا سياسيًّا تحول فيما بعد إلى حلم عاطفى حقيقى يتطلع إليه كل فرنسى، فإن مصر بالنسبة للفرنسيين هى بلد العقائد الدينية وفلسفة ما وراء الطبيعة ودفء المشاعر والإخاء الإنسانى المطوع، ومما لا شك فيه أنها أصبحت الدولة الأولى فى الشرق الأوسط الآن وهذا ما يجذب الفرنسى إليها.

• إذن فما هدف فرنسا من هذا التعاون الثقافى الشامل ؟

– سأكون كاذبًا لو قلت إنه ليس هناك اهتمام سياسى وراء ذلك، ولكن الجديد الذى دفعت به تطورات العصر أن الثقافة أصبحت على نفس درجة الأهمية مثل السياسة والاقتصاد، فالثقافة هى الحل أمام العديد من المشكلات التى قد تفشل أمامها السياسة لأن لغة السياسة محدودة ولكن لغة الثقافة مشتركة وهى الأقدر على توثيق المفاهيم.

• هل هناك مشكلات تعوق تبلور هذا التعاون الثقافى الفرنسى فى مصر ؟

– أولاً إن الفرنسيين يشعرون بالغربة لأنهم لا يعرفون، أو لا يتقنون اللغة العربية، فلكى تعيش فى مصر لابد من الحب والصبر، فالحب متوافر بيننا لكن الصبر يكون شاقًا فى بعض الأحيان، ثانيًا هناك مشكلة توافر الميزانية اللازمة لتمويل العديد من المشروعات الهامة.

• هل فى رأيك أنكم تتوجهون بثقافتكم إلى الفئات أو النوعيات التى فى حاجة بالفعل إلى الاهتمام ؟

– هذا سؤال على قدر كبير من الأهمية لأننى طرحته أخيرًا بينى وبين نفسى. فقد لاحظت أن جمهور المراكز الثقافية هم دائمًا الوجوه التى لا تتغير إما من الفرنسيين وإما من المصريين الناطقين بالفرنسية، وأنا أعتقد أن هؤلاء أقل إحتياجًا من غيرهم للمجهودات التى نبذلها، لذا فقد تقرر أن يكون المهرجان الموسيقى الغنائى الفرنسى القادم فى المراكز وقصور الثقافة الجماهيرية المصرية. بذلك يمكن أن نفيد القاعدة العريضة حتى إذا كانت اللغة عائقًا لأن للفن لغة إنسانية مشتركة ومن هنا أيضا نبعت فكرى إقامة أوبرا فرنسية مصرية مشتركة تحت اسم «خليفة بغداد»..

• وماذا عن مشاريعكم الجديدة ؟

– فى أكتوبر القادم سيقام احتفال بمناسبة مرور عشرين عامًا على إنشاء المراكز الثقافية لذا سننتهز الفرصة لإعادة تقييم وتطوير نشاطنا الثقافى فى مصر، كما ستقام معارض فرعونية فى فرنسا بالتعاون مع السفارة المصرية فى باريس كما ستشترك الفرق الفرنسية فى افتتاح موسم الأوبرا المصرية الجديدة وكلما توثقت أواصر الصداقة تزايدت المجالات التى تعمق المودة بين مصر وفرنسا.

مايو ١٩٨٨

الأدب العربى والعالمية!!

تومى أندرسن

«أخبرنى مندوب جريدة أجنبية فى القاهرة بأن لحظة إعلان اسمى مقرونًا بالجائزة ساد الصمت وتساءل كثيرون عمن أكون»، جاءت هذه العبارة فى كلمة كاتبنا الكبير «نجيب محفوظ» التى ألقاها الأديب «محمد سلماوى» بقاعة الأكاديمية السويدية باستكهولم.. وفى لقاء مع الناشر السويدى الكبير «تومى أندرسن» الذى قام بطبع العديد من أعمال نجيب محفوظ سألت:

• عندما أعلنت الأكاديمية السويدية فوز «نجيب محفوظ» بجائزة نوبل لم تكن له كتب فى الأسواق، لماذا ؟

– عند إعلان جائزة نوبل للأديب كان هناك كتاب واحد لنجيب محفوظ مترجم إلى اللغة السويدية، هذا الكتاب هو «زقاق المدق» الذى قامت بترجمته أستاذة اللغة العربية بجامعة استكهولم «شاستين اكسل»، هذا الكتاب الذى نشر لأول مرة فى عام ١٩٨١، وعند إعلان الجائزة لم تكن أية نسخ فى المكتبات حتى باللغات الأخرى الإنجليزية أو الفرنسية، لكن بالصدفة عثرنا على نسخة باقية فى الأرشيف. وبعد

أسبوع واحد تم طبع حوالى ٢٥٠٠٠ نسخة، نفذت فور صدورها، ١٥٠٠٠ نسخة بيعت قبل طرحها فى الأسواق، والباقى تخاطفه الناس، والآن يعاد طبع كل أعمال نجيب محفوظ التى ترجمت إلى اللغة السويدية، فهناك داران للنشر باسم «الهمبرا» و «بوكهول» تقومان بترجمة «ميرامار» و «ثرثرة فوق النيل».

• لابد إذن أن هناك خطة عمل منظمة فى المستقبل لطبع أعمال نجيب محفوظ ؟

– فى الربيع القادم سوف يطبع كتاب «حكايات حارتنا» الذى قامت بترجمته أساتذة اللغة العربية «أكسيل» وفى العام القادم سوف تتم ترجمة «الثلاثية» إلى اللغة السويدية. وأنا اعتقد أن هذا حجم كبير من العمل لم يسبق له مثيل.

• قيل منذ خمس سنوات إنه عيب على الأكاديمية السويدية لأنها لم تمنح جائزة نوبل لنجيب محفوظ ؟

– نعم لقد تردد هذا مرارا فى الأوساط الأدبية فى السويد، لكن كان الدكتور يوسف إدريس واحدا من بين الأسماء التى طرحت فى ذلك الوقت باعتباره نوعية يمكن لها أن تحصل على الجائزة، إلا أنه فى آخر لحظة اختير كاتب آخر لعدم توافر الإجماع العام، وهذا لا يمنع من أن فى مكتبتنا الدكتور يوسف إدريس والدكتورة نوال السعداوى.

• كان دور الجامعة فى السويد واضحًا لترجمة أعمال نجيب محفوظ، فهل هذا جديد ؟

– لقد أصبح «نجيب محفوظ» رمزًا للأدب فى مصر، لقد عاش الكاتب تاريخ بلده القديم والحديث، وها هو ذا مازال يحتفظ بروح العصر، هذا النجاح سوف يعطى حتمًا للجماعة دفعة قوية للاهتمام بترجمة هذا الأدب المصرى العربى الواسع، إنها فرصة الأكاديمية السويدية حتى نتعرف وندرك أن هناك آدابا أخرى عبر الحدود. السويد اليوم دولة متفتحة على العالم، يعيش بها عدد كبير من المهاجرين من دول العالم، لذا أصبح من حقهم ايضا أن يجدوا كل الآداب وبكل اللغات، كما أن القارئ السويدى فى حاجة أيضا إلى أن يتعرف على الأدب العربى المصرى، وجائزة نوبل أكدت للقارئ أن نجيب محفوظ كاتب ذو قيمة، وهذا ما يوضح نفاذ كتبه بعد أسابيع قليلة.

• لكن هل سيتوقف الناشرون عند نجيب محفوظ ؟

– على العكس إن هذا الانفتاح الجديد على الأدب فى مصر سوف يدفع المسئولين عن الكتاب إلى البحث عن كتاب آخرين.

وعندما سألت «دانييل سونين» المسئول عن أكبر مكتبة فى استكهولم اسمها «أهلا سيتى» عن مدى إقبال القارئ العادى على شراء كتب نجيب محفوظ أجاب:

– قبل إعلان جائزة نوبـل لم يكـن نجيب محفـوظ معروفًـا مـن قبـل القراء. لكن بعد أسبوع واحد من إعلان الجائزة كانت له أربعـة كتب في الأسواق نفذت كلها، كان من الصعب على الناس فى البداية تذوق هذا النوع من الأدب، لكن إقبال الناس كان أكبـر دليـل على النجـاح، ومن المؤسف بالفعل أنه لم يحضر بنفسه لتسلم الجائزة ليعيش معنا تلك اللحظات الغالية التى شاركتنا فيها العالم كلـه.

يناير ١٩٨٩

يوم للكتاب المصرين فى السويد

بيتسى كيرمن

عرفت السويد مع بداية القرن العشرين تجربة التحول الواسع ناحية الآداب الجديدة الغربيـة عليهـا، حيث احتـل مكـان الصدارة فى ذلك الوقت الشاعر «فريز فـون نستـام» الـذى حصل على جائزة نوبـل فى عام ١٩١٦ ، وفى الخمسينات دخل الأدب السويـدى مرحلـة التأمـل والرفض، أما الستينات فعرفت بالتأثر البالغ بالآداب الغربية مثل الأدب الفرنسى، وخاصة الصدمة التى خلفتها حرب فيتنام، ثم كانت العـودة مرة أخرى فى السبعينات إلى الواقعية التلقائية التى تبلـورت فى صورة التضامـن بيـن الكتـاب والشعب، فى لقـاء مـع رئيس اتحـاد الكتـاب السويدى، الشاعر الكبير «بيتسى كيرمن» قلت لـه:

● إن انفتاح السويد على الآداب الأخرى لم يكـن جديـداً، فلمـاذا كانت دهشة بعض الصحفيين عندما أعلنت الأكاديمية السويديـة فـوز الكاتب الكبير «نجيب محفوظ» بجائزة نوبل للأدب ؟

– هـذه الـدهشة أو هـذا الغضب لا يهـم، لأن الجائـزة لـم تمنـح للصحفيين ولكن للكتاب، وقد كان قراراً حكيماً من قبـل الأكاديميـة ومفاجأة سارة بالنسبة لى، لأن الأدب العربى يستحـق كـل الاهتمـام،

خاصة أنه غير معروف فى السويد، فإن الدار التى بدأت بنشر كتب نجيب محفوظ كانت داراً صغيرة جداً، وهذا لأن الدور الكبرى لا تهتم عادة إلا بنشر الكتب الأمريكية التى توزع أكثر، فإن أحسن الكتب وأقيمها هى التى تقدمها دور النشر الصغيرة، وقد حدث هذا من قبل عندما حصل الكاتب التشيكى على جائزة نوبل، إن السبب بالطبع فى ذلك معروف وهو حق هذه الدور فى البحث عن المكسب وهذا حقها الشرعى، لكن ليس من حقها أيضاً أن تنسى الكتاب الجيدين، وأتمنى فى المستقبل أن نترجم لكتاب مصريين آخرين، فإن نجيب محفوظ قد فتح لنا الباب حتى نتعرف على أدبكم الرفيع.

• هل هناك هيئة متخصصة تتولى تنظيم عملية الترجمة فى السويد؟

– فى إتحاد الكتاب لدينا قسم خاص بالترجمة إلى جميع اللغات، وسوف نقيم فى القريب يوماً للكتاب المصريين نناقش فيه مشاكل الأدباء.

• هل يشارك الإتحاد فى اختيار الكتاب لجائزة نوبل ؟

– عملنا داخل الإتحاد يتركز أولاً فى مساعدة الكتاب، لقد تلقيت دعوة للمشاركة فى قراءة بعض النصوص لكننا لسنا أكاديمية متخصصة.

• هوجمت الأكاديمية من بعض الدول لكونها متحيزة، فهل هذا حقيقى ؟

– تقوم الأكاديمية بعملها بأسلوب أدبى ولا دخل لها بالسياسة، لكن ربما تكون هناك أسباب ثقافية سياسية، فمثلاً الصين لم تحصل

على الجائزة للآن، وهذا رغم أن أدبهم جيد ولهم حضارة كبيرة، لكن مشكلة اللغة ومشكلة الترجمة الجيدة ما زالت مطروحة.

• ما مدى تأثير الأدباء والكتاب على سياسة الدولة ؟

– إتحاد الكتاب فى السويد مستقل تماماً عن العمل السياسى، لكن يحدث أحياناً أن يتبنى الكتاب قضية ما، فعندما يصبح للكاتب صوت قبل الجمهور يصبح حتماً قوة لا يستهان بها.

• أغلبية كتاب ذلك العصر صحفيون وأدباء فى نفس الوقت، ألا يتعارض الاتجاهان ؟

– لا يمكن أن يعيش الكاتب فى عصرنا هذا من الأدب فقط، فأغلبية كتاب السويد إما صحفيون أو أساتذة بالجامعة، فالكاتب يجب أن يتفاعل مع الأحداث ومع الحياة فعندما أكون ضيفاً لمدة عشر دقائق فى برنامج تلفزيونى مثلاً أحصل على أجر أكبر بكثير من كتاب أكون قد عملت به لمدة ثلاث سنوات، فالعمل الأدبى لا يمكن أن يقدر بمال، لكن هناك مشكلة الناشرين فى السويد ومشكلة التوزيع فى المكتبات، عدد سكان السويد حوالى ثمانية ملايين نسمة ولدينا ٢ مليون مكتبة، يطرح بالأسواق كل عام حوالى مائة مليون كتاب والدولة تساهم بنسبة معينة فى صناعة الكتاب، يدفع نصفها لمؤسسة تساعد الكتاب فى شتى الظروف، وهذه المؤسسة تعمل على حماية الكتاب وتساعدهم فى عملهم، ويجتمع الإتحاد كل سنتين مع المسئولين بالدولة لضمان سلامة الهيكل والبنيان.

• كان نجيب محفوظ نموذجاً للكاتب الذى يعمل فى صمت، فهو لم يثر الضوضاء من حوله، فماذا تقول عن الشهرة والكاتب ؟

– الكاتب الحقيقى يصبح نجماً عندما لا يفكر فى هذا، ونجيب محفوظ كان نجماً فى إختيار ألفاظه وكلماته، أى كان نجماً فى صدقه، فإذا فكرنا طيلة الوقت أننا نريد أن نصبح نجوماً فلابد أن نهوى فى يوم من الأيام، لكن إذا لم نفكر فى هذا فإن هذا يعنى أننا نجوم بالفعل.

• ماذا عن هؤلاء الكتاب الذين يكتبون كثيراً ؟

(قال وهو يضحك)

– إننى شديد الإعجاب بمثل هؤلاء الكتاب، لكننى أقول بجدية الآن، إن الكتابة عمل صعب لابد أن نعطى له كل ما لدينا من مشاعر وأحاسيس وهذا ليس أمراً سهلاً. لذا أعتقد أن كتاباً واحداً فى العالم أفضل وأحسن من مائة كتاب، فالكاتب الحقيقى هو الذى لا يتلقى الأوامر أبداً، هو الذى يكتب دائماً بقلبه وبصدق، إننا الفئة الوحيدة التى تعمل ما تشعر به.

• إتحاد الكتاب السويدى يتكون من ألفى عضو فكم عدد النساء الأعضاء ؟

– تحتل المرأة أقل من نصف الأعضاء، لكن هذا لا يؤثر أبداً على دور الإتحاد فى تنظيم العمل الأدبى بكل أفرعه كتاب الخيال العلمى، كتاب الأطفال، المترجمون، والكتاب الذين يعبرون عن واقع الحياة،

وهدف الإتحاد هو حماية حقوق الكتاب، حقوقهم الأيدولوجية والمادية والاقتصادية، وهذا يعنى التفاوض مع الناشرين، مع الإذاعة والتليفزيون.. وفى ميثاقنا نعمل على الحفاظ على حرية الكلمة داخل السويد وخارجها، فالكتاب يعانون دائماً من صراعهم المستمر مع القوانين حتى يتسنى لهم التعبير عن أفكارهم ومبادئهم، فإننا لا نتولى النشر لكتابنا فقط ولكن لكتاب العالم وبكل اللغات، والاتحاد ينظم وفودًا لزيارة مختلف الدول مثل الاتحاد السوفيتي وتركيا، وهناك خطة جديدة لزيارة البرازيل والمكسيك، فقد بدأ هذا الانفتاح على العالم منذ سنين فقط، وفى المستقبل نريد أن نحقق أحسن عقود نشر للكتاب، نريد أن نزيد رأس مال المؤسسة التى ترعاها الدولة، نريد أن نزيد عدد المكتبات حتى نوفر للكتاب أحسن الظروف لضمان انتشاره.

● بما أنك شاعر لك عشرة دواوين وسبق أن عملت رئيساً لتحرير أكبر جريدتين. بماذا تنصح الكاتب حتى يصل إلى العالمية ؟

– أن يكون الكاتب مصريًّا أو سويدياً فهذا لا يهم لأننا جميعاً فى أمة واحدة، أمة الأدب، فلا يهم أن تكون قدمنا فى مصر أو فى موسكو، إننا أعضاء لبلد أدبى واحد، ومهم جدًّا أن يتم التعارف بيننا حتى يلهم كل منا الآخر حتى يتسنى لنا أن نتنفس كل صور الحياة وأشكالها، فهناك لغة عالمية هى لغة الأدب، والساسة نجدهم فقط فى الجانب الآخر، لكن الكتاب يعيشون فى نفس دولة الفكر.

فى ذكرى هدى شعراوى نتذكر

حواء أدريس

كنت فى الشرق يا هدى مثلاً كــــان أوحــدا

أين فى المجـد والعـــلا أين فى الجـد والجدى

بهذه الأبيات كان رثاء الأستاذ «عباس محمود العقاد» للمناضلة الوطنية «هدى شعراوى»، آخر ما كتبته الفقيدة قبل وفاتها لنشرة بجريدة الأهرام ما يأتى: «تلقت رئيسة الاتحاد النسائى العربى برقيات من رئيسات الاتحادات النسائية فى الأقطار الشقيقة: العراق وسوريا وفلسطين ولبنان وشرق الأردن بمناسبة انعقاد الجامعة العربية ردًّا على برقيتها السابق إرسالها لحضراتهن، يفوضنها فى اتخاذ القرارات الحاسمة لنصرة فلسطين وتأييد الجامعة فى نضالها، وتقديم مساعدة الاتحادات الإيجابية لها، كما عبرن فى هذه البرقيات عن إتهام توحيد صفوفهن وتنظيم جهودهن لجمع المال وإعداد الكساء وقيد أسماء المتطوعات للإسعاف، والاستعداد الكامل مع إخوانهن العرب جنباً إلى جنب»، شكلت «هدى شعراوى» فى عام ١٩٢٣ الاتحاد النسائى المصرى وفى نفس العام لبت دعوة الاتحاد النسائى العالمى، فحضرت على رأس وفد مصر مؤتمر الاتحاد النسائى الذى عقد فى مدينة روما،

ومنـذ أن تشكـل الاتحـاد النسائى المصرى حـرصت على حضور المؤتمرات العالمية فى مختلف دول العالم، إلا أن اهتمامها لم يقتصر على مجال الخدمة الاجتماعية، بل امتد إلى الصحافة، فأسست مجلـة «المصرية» باللغة الفرنسية فى عام ١٩٢٥ والتى رأست تحريرها «سيزا نبراوى» فى عام ١٩٣٧ ، صدرت النسخـة العربيـة مـن نفس المجلـة التى اهتمت بالمسألة الفلسطينية وحقـوق الشعب الفلسطينى.

كنت قد أجريت هذا الحوار مـن عـدة شهـور مـع السيـدة «حـواء إدريس» رفيقة «هدى شعراوى» فى الكفاح والتى لازمتهـا حتى لفظت أنفاسها الأخيرة لينشر فى الذكرى السنوية لرائدة الحركة النسائيـة فى مصر والعالم العربى، إلا أننى لـم أكـن أدرك أنـه سيكـون آخـر حـوار للسيدة «حواء إدريس» وأنه سوف ينشر أيضاً فى ذكرى مرور أربعيـن يوماً على وفاتها.

• سألت السيدة «حواء إدريس». أريـد أن أعـرف بعض ذكريـاتك مع «هدى هانم شعراوى» فما زال هناك جـانب مـن حياتهـا لا يعرفـه الناس ؟

– عاشت «هدى شعـراوى» لتكـون نموذجـاً للمـرأة التى كـرست حياتها لخدمة بلدها، فلم تكن لها حياة خاصة إنما أعطت نفسها أولا للخدمة الاجتماعية ثم السياسية، فكانت أول من نادىٰ بحق الفتـاة فى التعليم فدخلت الفتاة الجامعة لأول مرة ليظـل سرًّا على مـدى خمسة عشر عاما، فلم يكن أحد يعرف أن بالجامعة خمس عشرة فتاة يدرسن

جنباً إلى جنب مع الرجل، وهناك قصة شهيرة مازلت أذكرها وهى أن فى إحدى الحفلات الكبرى سأل الملك فؤاد الذى عرف برجعيته، مدير الجامعة فى ذلك الوقت إذا كان هناك بالفعل فتيات يدرسن بالجامعة، فرد عليه مدير الجامعة قائلاً.. «هؤلاء الفتيات دخلن إلى الجامعة منذ خمسة عشر عاما»، أما مالا يعرفه الناس عن هدى شعراوى فإنها كانت سخية شديدة الكرم لم تحتفظ بأموالها لنفسها ولكن للآخرين.. فأنشأت الجمعية، مصنعاً للخزف لإحياء فن الخزف العربى القديم، وقد اهتمت بتعليم الفتيات اللاتى فاتهن فرصة الدخول إلى المدرسة، علمتهن الحرف مثل صناعة السجاد الذى كان يصدر إلى الخارج وأقامت أقساماً خاصة للعلوم المختلفة والأشغال اليدوية.

• كيف سمحت ظروف البلد فى ذلك الوقت بتقبل فكرة تحرير المرأة ؟

– كان المجتمع متأخر واقعاً تحت حكم الاستعمار الإنجليزى، وعندما شغلتها فكرة مقاطعة الإنجليز، فكرت فى أن كل الأموال المصرية مودعة فى بنوك أجنبية يمكن أن تعلن إفلاس مصر، من هنا جاءتها فكرة إنشاء بنك مصرى تودع فيه أموال المصريين، فاتصلت بطلعت حرب الذى كان وكيلاً لدائرة شقيقها، وبالفعل تم تأسيس «بنك مصر» فى عام ١٩٢٣ وقبل بدء المقاطعة، وقد تبلور هذا الدور السياسى الهام فكانت «هدى شعراوى» على رأس أول مظاهرة نسائية فى عام ١٩١٩ حيث شاركت حوالى سبعمائة سيدة محجبة يرتدين

«الحبرة»، ويقفن جنباً إلى جنب مع الرجال يرددن الهتافات المعادية للاحتلال.

• كيف كان موقف الرجال فى ذلك الوقت؟

– نالت المرأة تشجيعاً كبيراً من قبل الرجل، وكذلك موقف الزملاء الشركاء فى الكفاح وبفضل هذا التضامن نجحت المظاهرة نجاحاً باهراً لا مثيل له.

• ألم تكن ظروفها الأسرية سبباً فى مطالبتها بهذه المساواة ؟

– لقد تزوجت «هدى شعراوى» من ابن عمتها الذى كان يكبرها بكثير، وهى فى الثالثة عشرة من العمر على غير رغبتها، إلا أنها بعد شهور قليلة من الزواج ضيق عليها الخناق والخروج وزيارات الصديقات، وبعد حوالى عام من الزواج إنفصلا لمدة سبع سنوات، وقضت فترة فى الإسكندرية هى وأمها، ولظروف كثيرة عادت إلى زوجها.

• ماذا تتمنين لهذا الجيل من النساء ؟

– لا يمكن أن تكون هناك «هدى شعراوى» أخرى، لقد اهتمت بالسياسة وبالعلم، والاقتصاد وبالصناعة، فكيف يعود هذا المجد القديم، فى أيام «هدى شعراوى» لم تكن المرأة مشغولة كما هى اليوم، الحياة نفسها اختلفت فأصبحت أكثر تعقيداً، وأمام هذه المشكلات الجديدة كيف تعطى المرأة من نفسها لخدمة بلدها، فى ذلك الوقت كنا نملك حق الاختيار، أما اليوم فأين المقدرة على هذا الاختيار ؟!

• ماذا يمكن أن نقدم لـ «هدى شعراوى» ؟

– لا يكفى أن تحتفل جمعية «هدى شعراوى» بذكرى وفاتها، أى فى يوم ١٢ ديسمبر عام ١٩٤٧ ، فقد أصيبت بأزمة قلبية حزناً على استيلاء وزراء المعارف على جزء من الجمعية، ولكن لابد أن تحتفل مصر كلها بهذه المناسبة، وأنا لا استطيع أن أقترح أى شىء، ولكن من يرد أن يفعل يعرف جيداً ما الذى يجب أن يقدم لامرأة أفنت حياتها لخدمة مصر.

يناير ١٩٨٩

الإسكندر.. المصرى

موريس ديرون

إنه أكثر كتاب العالم انتشاراً لأنه تخصص فى الكتابة عن التاريخ.. وهو سكرتير دائم للأكاديمية الفرنسية ووزير سابق للشئون الثقافية بحكومة «شارل ديجول» سألت «موريس ديرون».. منذ فترة طويلة، لم تضم الأكاديمية لعضويتها عناصر نسائية لماذا ؟

– إنها أكاديمية الرجل (يضحك).. لقد بدأت المشكلة منذ القرن السابع عشر عندما سيطرت بعض الكاتبات المعروفات على الصالونات الفكرية، ثم استمر الحال فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحتى القرن العشرين، لكن جاءت مدام «دى نواى» لتصبح عضواً بالأكاديمية، لكن المشكلة أنها كانت ثرثارة لا تكف عن الكلام، ولأن من الأدب ألا يقاطعها أحد فى الكلام، خاف باقى الأعضاء ألا يكون هناك غيرها، وأخيراً انتهى هذا التحريم الآن فكانت هناك مدام «لروسناك» ثم انتخبت حديثاً مدام «جرابى».

• هل تمنعك مسئوليات ومهام الأكاديمية من الكتابة ؟

– بدأت حياتى كمراسل صحفى فى عام ١٩٤٤–١٩٤٥ وفى هذه الفترة كتبت «على الطريق» عن الحرب ثم تحولت إلى روائى

ومؤرخ ولأننى أصبحت مشدوداً إلى التاريخ فأنا أجد دائماً الوقت للكتابة، وأحب أعمالى وأقربها إلى نفسى هى «حياة الإسكندر الأكبر» إنه فى نظرى الإسكندر المصرى، فكل كاتب منا يبدأ من نفس المصدر لكن كل واحد يراه بشكل مختلف طبقاً لوجهات النظر المختلفة، لذلك هناك من يرى فى الإسكندر الأكبر المحارب. أما أنا فرأيته مصريًّا.

• يقال أن أهم أعمالك «لعنة الملوك» ؟

– لا أعرف.. لكنه الكتاب الأكثر توزيعاً، لقد أعدت العصور الوسطى إلى الحياة لأنه العصر الملىء بالشخصيات الفذة، فتناولت حياة حوالى ثلاثة عشر ملكاً بمختلف جوانب حياتهم، كانت النهاية أننى كتبت قصصاً رائعة لم يعرفها أحد من قبل، وقد استغرق منى هذا الكتاب حوالى ثلاث سنوات من العمل المتواصل.

• ماذا عن كتابك القادم ؟

– أنا لا أتحدث أبداً عن مشاريعى القادمة.. لكنه سيكون حتماً كتاباً عن التاريخ المعاصر وخاصة شخصية الجنرال «ديجول».

• كان الشاعر اللبنانى «جورج شحاته» الذى توفى أخيراً أول عربى رشح لجائزة نوبل، فلماذا لم ينل هذه الجائزة منذ فترة طويلة؟

– كان «جورج شحاته» شاعراً عظيماً، وكاتباً مسرحيًّا فريداً طاف مسرحه العالم كله عندما حصل على جائزة «لوريا» للناطقين بالفرنسية،

قال لى مداعباً ما هذا الذى فعلته بى؟ إن الرسائل تأتينى من كل بلاد العالم، عرفت هذا الشاعر صديقاً يعشق الكلمة شديد الحساسية وسريع الدعابة مع كل كلمة تجد السماء، الحلم، القلب والألوان. كان شاعراً خلاقاً له جوانبه السحرية.

• هل يمكن أن تكون الثقافة بصفة عامة، وفى عصرنا هذا علاجاً أو حلاً لما أسميته أنا بالأمراض السياسية ؟

– أفضل كلمة حل وليس كلمة علاج، فيمكن أن تكون الثقافة الطريق فى اتجاه الحلول بمعنى أن يكون الإنسان مثقفاً، فهذا يعنى المعرفة أى أن يعرف الإنسان فيما يفكر الآخرون، فإذا تمكنا من الدخول فى أسلوب تفكير الآخرين، فهذا يعنى أنهم لا يصبحون ـ ولا مستبعدين فالمأساة أن هناك أقصاء مطلقاً من قبل كل واحد، إذن فالثقافة فى أحسن معانيها ابتداء بالتاريخ والأدباء هى وسيلة لتحطيم السدود والموانع، فكل منا يكره الآخر لأننا لا ننظر.. لا نرى بعضنا البعض، فتنمو الكراهية خلف الأسوار وفى أحد الأيام تنهار هذه الأسوار ويبدأ القتال فالأديان تعطى حقائق أوحى بها، الثقافة لا تعرف الشك والفلسفة هى وحدها التى ترتكز على ميكانيكية الشك، والفلسفة جزء من الثقافة.

• لماذا تفشل السياسة فى معظم الوقت.. والأمثلة عديدة فى العالم كله ؟

– أنا حزين لما وصلت إليه الحال فى لبنان الذى كان مثالاً للتسامح، لقد رأيت فى القاهرة أقدم المعابد اليهودية.. أقدم الكنائس المسيحية وأقدم الجوامع الإسلامية، رأيت كل هذا فى منطقة واحدة، إنه أجمل رمز شاهدته فى حياتى يحمل كل معانى التسامح، إنها الأديان الثلاثة، فكيف يمكن أن ينكر كل منا الآخر باسم الإيمان.. بينما الإيمان هو قمة التسامح، ولماذا نحرم نحن البشر الجنة على الآخرين فهذا حق الله وحده ويكفى أن الشر موجود ملء الأرض. أعود فأقول إن السياسة تبحث دائماً عن الأنظمة للمجتمعات، وأنا أفضل أن يكون هناك ساسة عظام بدلاً من وجود ساسة صغار.

• وفكرة إنشاء الجامعة المصرية الجديدة كيف بدأت ؟

– إنه لقاء القمة المصرية بمبادرة الأكاديمية الفرنسية مع رعاية الآداب والفنون فى إيطاليا، وبناء على رغبة مصر التى أكدت لنا دائماً عن رغبتها فى أن تجعل للغة الفرنسية حضوراً أوسع خاصة فى مجال الدراسات العليا، لذا رأت اللجنة الناطقة بالفرنسية فى الأكاديمية تشكيل نوع من التعليم العالى فى مصر، من هنا وبعد المناقشات والمباحثات وصلنا إلى فكرة دراسة مشروع إمكانية اقامة جامعة للغة الفرنسية مقرها الإسكندرية.. لكن لماذا الإسكندرية بالذات؟ لأنها مدينة عريقة ورمز لتعايش ثقافات العالم، فإن اسم الإسكندرية يدوى فى العالم أجمع، وهذا يرجع إلى ذكريات وكثافة التاريخ وتعاقب الحضارات المتعددة، لذا كان اختيار الإسكندرية ملائماً تماماً، فتكونت

لجنة تضم مجموعة من الخبراء تحت رئاسة البروفسور «رونيه جون دبوييه» أستاذ القانون الدولى وممثلى ثمانى دول مختلفة مثل مصر، كندا، المغرب، بلجيكا، سويسرا، السنغال، تونس وفرنسا، وقد بدأ عمل هذه اللجنة فى أواخر شهر مايو عام ١٩٨٨ ، وقد اجتمعت اللجنة فى باريس، الرباط ثم باريس مرة أخرى وأخيراً هنا فى القاهرة، وقد انتهت هذه الأعمال بالأمس استعداداً لإصدار البيان النهائى فى الشهر القادم، والذى يتضمن وصفاً للهيكل وبياناً بالميزانية. سوف يقدم هذا المشروع فى مؤتمر رؤساء الدول والحكومات الذى يعقد فى داكار فى نهاية شهر مايو عام ١٩٨٩، وهذا يعنى أن الإعداد للمشروع قد استغرق عاماً واحداً.

وكان من الطبيعى أن تنتهى هذه الجهود فى القاهرة حتى يتسنى لنا عقد لقاءات بالمسئولية، وقد تم التباحث مع رئيس الوزراء ووزير التعليم العالى والدكتور «بطرس غالى» الذين رحبوا بإقامة هذا المشروع الدولى الكبير، أما عن الجامعة الجديدة فسوف نستعين بأساتذة من مختلف بلاد العالم، من أفريقيا، من أوروبا وأمريكا الشمالية، وبالنسبة لعدد الدارسين فسوف يكون محدوداً فى البداية أى فى السنة الأولى وسوف يقبل الدارسون الحاصلون على الشهادات الجامعية الذين سوف يتم اختيارهم بعد إجراء اختبارات للقبول، إذن الفرصة سوف تتاح أمام الجميع ولكن الاختيار سوف يكون للكفاءات فقط، أما عن الدراسة فسوف تشمل سبل التنمية والتطور فى شتى المجالات مثل الطب، الزراعة، القانون والإدارة.

• لا تعتبر مصر من بين الـدول الناطقـة بالفرنسيـة، أليس غريبـاً أن تكون مشتركة فى هذا المشروع ؟

– تعتبر مصر جزء رئيسى من مجموعـة الـدول الناطقـة بالفرنسيـة فهى تحدث نوعاً من التوازن بين هذه الدول، أن تتكاتف هذه الـدول من أجل التطور والنمو فإنها حقاً رسالـة حضاريـة.

• أيمكـن أن نعتبـر أن إقامـة مثـل هـذه الجمامعـة الفرنسيـة فى الإسكندرية نوع من الاندفاع أو الجرأة ؟

– فعلاً هى جرأة لكنها فى المكان المناسب طالما أنه كـان هنـاك دائماً رباط ثقافى بين مصر وفرنسا، فاللغة الفرنسيـة الآن ليست فقـط فى باريس، ولكن فى العديد من دول العالم، إنها لغة الربط بين الدول الأفريقية نفسها حيث أن هنـاك ٦٢ لغـة مختلفـة، وهنـاك دول عربيـة تعتبر المثل الأعلى على هذا التعايش الثقافى مثل المغرب، فاللغة العربية واللغة الفرنسية تنالان نفس الاهتمـام.

• كيف تنبهت الأكاديمية الفرنسية لهذه المسئوليـة الجديـدة قبـل الدول الناطقة بالفرنسية ؟

– هناك أمور قد تظهـر أحيانـاً وتختفى، وقـد كـانت لنـا اتصالات بكل الدول التى تتحـدث الفرنسيـة، لكـن هـذا الاحتيـاج إلى جامعـة فرنسية فى أفريقيا لم نشعر بـه إلا أخيـراً. وقـد كـان أول اجتمـاع فى باريس عام ١٩٨٦ وكان قبل ذلك بقليل الاحتفال بمرور ٣٥٠ عامـاً على إنشاء الأكاديمية الفرنسية، وبهذه المناسبة قال الـرئيس «ميتـران»

الذى يتولى الأكاديمية برعايته إن علينا أن نقوم بمسئوليتنا أمام العالم، وخاصة تلك الدول الناطقة بالفرنسية، كان هذا فى نفس الوقت الذى أصبحت فيه سكرتيراً دائماً قبل الأكاديمية، وكان نداء الرئيس «ميتران» متوافقاً تماماً مع وجهات نظرى وأمنياتى وتطلعاتى، لكن مع ذلك لم يكن من السهل بالنسبة لأكاديمية عريقة أن تجدد أو أن تقدم شيئاً مختلفاً.

• ألا يمكن أن يعتبر هذا المشروع أيضاً بمثابة إنقاذ لما وصلت إليه اللغة الفرنسية فى مصر ؟

– فمن المعروف أنه بالنسبة لعلوم الاتصال كلها كان لدينا لغة أو أكثر توفر سبل الحصانة من أجل الدفاع والتقدم فى مواجهة العالم الحالى، والتشابه ليس شرطاً للتطور، ربما العكس هو الصحيح، فأنا لا أقوم بشن حملة ضد اللغة الانجليزية الكلاسيكية. لكن من المؤسف أن فى الولايات المتحدة تتغير اللغة كل ستة شهور، وإن لم أكن أذهب إلى أمريكا باستمرار فأنا لا استطيع أن أقرأ الصحف.

• أعتقد أن اللغة الفرنسية أيضاً فى حاجة إلى الدفاع لأنها هى أيضاً تتغير ؟

– هناك تدهور أكيد فى اللغة الفرنسية، لكنها يمكن أن تدافع عن نفسها أحسن دفاع بسبب عباراتها الفنية الغنية ووضوحها اللغوى، لذا فأنا أطالب أيضاً الدول الناطقة بالفرنسية للدفاع عن هذه اللغة، ففى القارة الأفريقية مازالوا يتحدثون لغة فرنسية على درجة عالية من

البلاغة، أما وسائل الإعلام وأنا أقصد خاصة الإعلانات فهم يتسلون بهدم اللغة، وقد ظهر أخيراً قاموساً لتطوير اللغة، فى هذا القاموس نجد العبارات السيئة التى انتشرت أخيراً، ونجد فى نفس الوقت تصحيحاً لهذه العبارات، إذن على كل منا أن يختار لنفسه إما الحلال أو الحرام، واللغة الفرنسية غنية لذا فقد أدخلت عليها كلمات عربية جديدة.

مارس ١٩٨٩

هذا جيل .. مظلوم !!

ناصر الدين الأسد

احتفلت كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا بذكرى مرور مائة عام على ميلاد عميد الأدب العربى الأستاذ الدكتور «طه حسين».. وكان ضيف هذا العام الأستاذ الدكتور «ناصر الدين الأسد» وزير التعليم العالى بالأردن.. والذى يعتبر واحد من كبار المفكرين فى المنطقة العربية وأحد تلامذة الدكتور «طه حسين» الأوفياء. سألته:

• نحن أمام جيل يفتقد إلى الأستاذية.. وسيادتك تنتمى إلى الجيل الأكاديمى الذى يتميز بالجدية والدراسة العميقة، ونذكر الدكتور شوقى والدكتور يوسف خوليف إلى آخر المجمعيين، إلى أى مدى تنظر إلى المستقبل فى هذا المجال ؟

– أنا دائماً متفائل الطبع، والمعلم لا يجوز إلا أن يكون متفائلا، لأن المعلم يتعامل مع المستقبل فى صورة هؤلاء الطلبة، فإذا جنح إلى شيء من التشاؤم فعليه أن يترك التعليم وأن يترك التعاون مع المستقبل، وكلما التقيت بطلابى واستمعت إليهم وهم يوجهون إلى الأسئلة أو يتناقشون فيما بينهم اطمأنت نفسى إلى أن سنة الله تأبى

على هـذه الحيـاة ان تتوقـف فى مجموعهـا، أو أن تعـود إلى الـوراء، ولابد من أن نتقدم باستمرار، وإذا حدثت انتكاسات فى بعض الجيوب كما يقولون أو انتكاسات جزئية فى بعض الجوانب، فـإن التيـار العـام هو إلى التقـدم وإلى النهضة.

ولابد أن يكون كل جيل خيراً فى مجموعه من الجيل السابق وإلا توقفت الحياة أو انتكست، فأنا بطبعى أرى أن الشبـاب إذا نالـوا شيئاً من التعهد والرعاية والتوجـه استطاعـوا أن يكونـوا خيـراً منـا، هـذا لا شك فيه، والمشكلـة تكمـن فى أن ظـروف الحيـاة التى أحـاطت بنـا خـلال ثلث القـرن الأخيـر حيـاة مضطربـة أشد الاضطـراب: سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وصرفت الكثير من الأساتذة عن الجد فى تنـاول الأمور ومعالجتها، والجـد فى الـدراسة نفسهـا، وفى تكويـن أنفسهـم أيضاً فوصل نفر منهم إلى الأستاذية دون أن يكون قد أهل لها بالطريقة الكافية، إذا أضفنا إلى ذلك أن هذه الحياة بطبيعتها دعت إلى التفكك فى نسيج العلاقات: العلاقات داخل الأسرة، العلاقات داخل المدرسة، العلاقات فى المجتمع،هذا التفكك باعد بين الأساتذة والطلبة، وبذلك لـم تعـد الصلـة كمـا كـانت فى السابـق، بحيث يصبـح بعض الطلبـة ملازمين لأساتذتهم ملازمة تجعلهم يقتبسون منهـم كثيـراً مـن العلـم، وأهم من العلم المنهـج فى التفكيـر، المنهـج العلمى.. هـذه الظـروف كلهـا هى التى جعلت هـذه الظاهـرة دون أن نلقى السبب أو العبء أو التهمة على الطالب أو على الأستاذ وإنمـا هى الظـروف.

• لقد حملنا علاقة الأستاذ بتلميذه أو التلميذ بأستاذه جزءا من المسئولية فيما وصلنا إليه من مستوى التعليم، لكن ألا تتحمل مناهج التعليم القائم على التلقين وليس لبحث الجزء الأكبر من المسئولية؟

– إذا قصدت مرحلة ما قبل الجامعة فهذه الشكوى موجودة منذ نهاية القرن الماضى.. فالناس يشتكون من هذه المناهج لعدم وفائها بالغايات، والأهداف التى ترتجيها الأمة من التعليم، وكذلك شكوى كانت مستمرة من الكتب المدرسية، ورداءة هذه الكتب المدرسية، وهو ما نشكو منه الآن لو رجعت إلى سجل الحياة فى نهاية القرن التاسع عشر أو مطالع القرن العشرين وما بعد ذلك حتى اليوم،لذلك نجد أن الشكوى هى الشكوى ومستمرة، لذلك كانت المحاولات مستمرة لإصلاح نظام التعليم، لو رجعت إلى أى كتاب فى تاريخ التربية فى مصر، أو فى البلاد العربية لوجدت أننا نشكو اليوم مما كان يشكو منه آباؤنا وأن آباءنا كانوا يشكون مما كانوا يشكون منه أجدادنا، وأن الجهود كانت دائماً تبذل من أجل إصلاح التعليم، وإصلاح مناهج التعليم، هذا إذا أردت مرحلة ما قبل الجامعة، إذا أردت مرحلة الجامعة، فأنا نشأت فى ظل نظام جامعى لم تكن له مناهج محددة، وكما تعلمين لا توجد كتب مقررة فى الجامعات، يبدو أن الأساسى فى كل هذا هو المعلم سواء كان فى مرحلة التعليم العام أو فى المرحلة الجامعية، ومعلم جيد بغير مناهج وبغير كتب يستطيع أن ينشى جيلا التنشئة المرجوة، وإذا وضعت مناهج ممتازة

وكتب ممتازة بين يدى معلم ردىء لا يمكن أن يخرج من ذلك شيئاً.. المعلم هو الأساس، ونحن حقيقة أخذنا من أساتذتنا فى بيوتهم وفى مجالسهم وفى ندواتهم التى كانت تعقد فى المقاهى، وأنا أتحدث عن جيلى، عن ندوة لجنة التأليف والترجمة والنشر وأساتذتها الكبار، عن ندوة العقاد عن زيارتى للأستاذ الدكتور طه حسين فى منزله، وما كان يدور من أحاديث حينئذ، عن ندوة مثل ندوة الأستاذ محمد شاكر وأنا استعمل كلمة ندوة من قبيل المجاز، لأنه كان يفتح بيته كل يوم، كل ليلة وليس ندوة أسبوعية: مرة واحدة فى الأسبوع، كان الجو كله معلما ومن أجل هذا استطعنا أن نغترف من مصر وبسهولة، ومن أجل هذا أحب أن أحمل نفسى وأحمل زملائى المسئولية عن الأجيال القادمة، هذا الجيل الذى نشكو منه يجب أن تكون الشكوى منا وليس منه فهو جيل مظلوم.

• بعض المفكرين والكتاب يتعللون بوجود وسائل الإعلام وانتشار التليفزيون، أو تواجدهم فى أماكن عملهم مما دعا إلى عدم ضرورة وجود صالونات فكرية، وأدبية على غرار صالون العقاد، أو كما ذكرت حضرتك أن الكتاب فى الماضى كانوا يفتحون بيوتهم طيلة أيام الأسبوع، فما رأى حضرتك ؟

– وسائل الإعلام هى وسيلة معرفة.. فكان من الطبيعى أن تقوى صلة الطالب بالعلم والمعرفة، وهذه الوسائل تفتح آفاقاً لم تكن مفتوحة

لنا فى السابق، لا يجوز على أية حال أن نشتكى منها، أما ما يذكر فيها من تمثيليات أو من أغانى وخلافه فأنا لا أحب أن أخيب أمل أحد فى عصر من العصور، لكن إذا رجعت إلى التمثيليات التى تصور مثلاً مطالع القرن التاسع عشر فى مصر هنا، أو إذا رجعت إلى روايات نجيب محفوظ ورأيت تصويره للحياة خصوصا للبيئة الشعبية، تجدين فى مصر الصوارف عن العلم الشىء الكثير. وهذا موجود فى كل عصر وفى كل بيئة وليس البيئات المترفة، ولكن أيضا البيئات غير الشعبية، من أراد أن ينصرف عن الجد وجد الصوارف متوافرة جدا فى كل عصر من العصور، لكن هذا الجيل متعطش للمعرفة،راغب فيها وأنه مستعد لأن نحقق أملنا فى المستقبل.

• انطلاقاً من هذا التعطش للجديد والترحيب بالتطور والتفاؤل الذى تتميز به ما رأيك فى الاتجاهات الجديدة فى الأدب العربى سواء فى الشعر أو القصة أو الرواية ؟

– هذه ظاهرة موجودة فى كل عصر، وحينما نعود إلى عصورنا الأدبية نجد أيضاً فى كثير من هذه العصور محاولات فى إحداث شىء جديد، قد يكون هذا الجديد جزئيًّا فى داخل الإطار نفسه، وقد يكون أكبر من هذه الظاهرة الجزئية بحيث يحاول أن يكسر الإطار وأن يخرج عنه التجديد الذى نستسيغه، هو ظاهرة طبيعية وبغير هذا التجديد أو محاولات التجديد مهما تكن مدة بقاء هذا التجديد، إنما هو ظاهرة إنسانية طبيعية لا يجوز إطلاقا أن تستنكر، وأعتقد أنها

موقوتة بزمان وأنها متغيرة، وأن هذا التجديد سيأتى عليه تجديد يلغيه، وأن أصحاب التجديد الآن الذين يستنكر بعضنا موقفهم سيكونون هم مستنكرون لمواقف الذين سيأتون بعدهم، هذه سنة الله فى هذه الحياة، لابد أن نعترف بوجودها وأن نقبلها كما هى.

● هل التأرجح بين الثقافات المختلفة والمشاكل التى قد تنجم عنه بالنسبة للكتاب يعتبر مانعاً حقيقيًا فى سبيل عملية الخلق والإبداع ؟

– نحن الآن فى مهرجان أستاذنا الدكتور طه حسين وأستاذنا الدكتور طه حسين غرف بنهم، وبشغف من الثقافة العربية، والثقافة الإسلامية الأصيلتين، ثم بعد ذلك غرف أيضاً بغزارة من الثقافة الفرنسية، ومن الثقافة الأوروبية بعامة من خلال الترجمات الفرنسية، ومن خلال معرفته اليسيرة باللغة الإنجليزية، ومع كل ذلك لا نستطيع أن نقول من أنه تأرجح بين هذه الأنواع من الثقافات، لكنه جمع بينها جمعاً متقناً يكاد يصل إلى درجة الامتزاج، وحصيلة هذا كله تمثله تمثلاً صافياً فى نفسه ثم عاد بعد ذلك وأصدره بأصالة وإبداع، وأنا أقول امتزج لأنى أشير إلى رأى أخى وزميلى الأستاذ الدكتور عبد الحميد إبراهيم فى موضوع الوسطية العربية لأنه هو ينكر الامتزاج (يضحك) وإنما يدعو إلى التجاور فى هذا.

● احتلت المرأة فى أدب الدكتور طه حسين مكانة مرموقة، فهل حضرتك راض عما وصلت إليه المرأة فى المنطقة العربية بصفة خاصة ؟

– المرأة والرجل هما ركنان أساسيان فى مجتمع واحد، ولا تصدقى أن ركناً واحداً يستطيع أن يتقدم دون الركن الآخر، فإذا تخلف ركن من الركنين، معنى هذا أن الركن الثانى أيضاً يتخلف، فالقضية ليست امرأة أو قضية رجل فإنها قضية تخلف المجتمع برمته أو تقدم المجتمع برمته.

أبريل ١٩٨٩

السلطة .. والمعارضة

جورج بروسين

فى أحد المقاهى الفرنسية الشهيرة بحى «سان جرمان دى بريه» المعروف، وفى مقهى «ليدوه ماجوه» وسط رائحة القهوة الفرنسية الشهيرة، وعبير البارفان الباريسى المسكر، ووسط ضجيج الجارسونات التقيت بالمفكر الفرنسى المعروف «جورج بروسين» الذى يعتبر من بين الأعضاء البارزين بحزب اليمين، ومن أكثر المقربين لرئيس الوزراء السابق «جاك شيراك».. عمل «بروسين» لسنوات طوال فى الحقل السياسى، والصحفى فرأس تحرير العديد من الجرائد اليومية كان آخرها «لاليتر دى لاناسيون» أى رسالة الأمة، لذا كان اهتمامه الواضح بالسياسة وخاصة السياسة الخارجية التى اعتبرها مجالاً ثريًا وهامًا بصفة خاصة، وبتكليف من «جاك شيراك» وزعماء الحركة السياسية كلف بالعمل على إيضاح ما آلت إليه السياسة الخارجية والمشكلات الدولية خاصة فيما يتعلق بالحروب، والعلاقة بين الشرق والغرب والتسليح ومشكلات العالم الثالث.

وعن وضع المعارضة فى فرنسا وخريطتها السياسية كان سؤالى الأول، قال «جورج بروسين»:

– مرت المعارضة منذ انتخابات رئاسة الجمهورية الأخيرة بوضع صعب للغاية، إذ مارست المعارضة حقها السياسى فى المشاركة فى الحكم بعد أن نالت أصوات الأغلبية بالبرلمان فى عام ١٩٨٦، فحكمت بتعايش مع رئيس الجمهورية وكان الجو السياسى الفعال الذى اعترف به العالم كله كما تحقق نوع من التطور الاقتصادى الملحوظ، ويمكن أن أضيف أن حكومة «جاك شيراك» قد حققت ما بين عامى ١٩٨٦ – ١٩٨٨ كل ما كان فى إمكانها من النجاح.

أما فشل انتخابات عام ١٩٨٨ فقد كان صدمة كبيرة، لقد نجحت سياسة جاك شيراك إلا أن لأسباب سياسية وتكتيكية وبسبب مهارة وبراعة رئيس الجمهورية فشل اليمين فى الحصول على الأغلبية فى انتخابات الرئاسة الأخيرة، وكما يحدث دائماً فإن لكل فشل عاقبة سياسية، ولكن هذا الفشل لم يفهم ولم يفسر جيداً من قبل المعارضة، فى النهاية لم يعوض هذا الفشل بقدر الجهد الذى بذل، فكان الإحساس بالإحباط الذى أدى بدوره إلى الانقسامات التى أخذت بدورها عدة أشكال، فهناك نزاع عام وسط المعارضة ككل، هناك أيضاً الرغبة فى الاستقلال من جانب بعض الأحزاب السياسية وخاصة المعتدلون، الذين تمسكوا بمبادئهم وسيطروا على حملة الانتخابات وأحسنوا تقديم رئيس الجمهورية، كما ركز رئيس الجمهورية بدوره فى كلمته الانتخابية على الانفتاح وتوسيع قاعدة الأغلبية.. فكان فى النهاية التحالف بين الاشتراكية وبين جزء من اليمين الحالى، استأنفت الأمور

الطبيعية فيما بعد وسط ضغوط الواقع الانتخابي وانقسام المعارضة التي كانت تعتقد أنها يمكن أن تتعاون مع حكومة «فرانسوا ميتران» إلا أنها اكتشفت صعوبة هذه الإمكانية، والآن نعيش فترة تحاول فيها المعارضة جمع نفسها من جديد.

وقد اضطرب اليسار بسبب سياسة الجمود حيال المشكلات الاجتماعية، فهو لا يستطيع تطوير وتجديد السياسة الإدارية في حكومة «ميشيل روكار» التي تعتبر استمراراً للسياسة السابقة، أما عن خطة المعارضة فهي لاتتحدد اليوم من خلال منهج مفصل أو محدد إلا أنها نجحت في تطوير السياسة الاقتصادية، كما لم تنجح المعارضة في إقرار قانون جديد خاص بالجنسية، ثم أنها لم تنجح أيضاً على المستوى النفسي، فقد ألغت مثلاً ما يسمى بضريبة الثروات الكبيرة، هذه الضريبة التي أثارت العديد من المشكلات، أما عن خطة المعارضة فهي تتلخص في عدة نقاط منها الخطة التحررية الاستقلالية وخطة اجتماعية تتركز في توفير جو من الأمان الاجتماعي هذا على الرغم من ارتفاع الأسعار، وهناك أيضا مشكلة المعاش ومسألة الطبقات الاجتماعية الشعبية، إذا استعادت المعارضة السلطة فسوف تعمل على حل هذه المشكلات لكن بشكل مختلف ليس كما يفعل الاشتراكيون، سوف تعمل على الحد من المتعطلين عن طريق النشاط الاقتصادي وهذا المنهج سوف يأخذ شكلاً جديداً بما أننا في نطاق السوق الأوروبية الكبيرة لعام ١٩٩٣ ، إن آفاق عام ١٩٩٣ سوف تلزم فرنسا بسياسة تحررية جديدة هي نفس السياسة التي تنادي بها المعارضة.

• كيف تقوم المعارضة بمهامها إلى جانب السلطة، وهل هناك نوع من الانسجام بين الاثنين؟

– لا يوجد تآلف بين السلطة والمعارضة لكن لا يوجد خلاف حقيقة، إن المعارضة تعتمد على المنهج لكنها أيضاً بناءة فبدلا من الاحتجاج والهجوم على الأفراد فهى تقدم الاقتراحات والحلول، إن حكومة «روكار» فيها ليونة لهذا فهى إيجابية حتى لو اضطرت للخضوع للمزايدة، وهذا يؤكد أن الجسور لم تنعدم أبداً ومن الممكن تأكيد العلاقة بين السلطة والمعارضة.

• ماذا تتوقع من المعارضة فى مصر ؟

– أعتقد أن المعارضة في مصر تعبر عن نفسها بحرية إلى درجة الحرب الكلامية الحامية، وأظن أن هناك جزءا من المعارضة يمكن أن يكون قريباً من الجماهير الشعبية، وهى المعارضة المثقفة الذكية التى تعتمد على التحليل، تحاول المعارضة حل المشكلات الداخلية فى مصر، إن الشعب المصرى فقير الا أن الناس ينجحون فى حل مشكلاتهم بشىء من المرونة، لكن الأمر الهام هى مشكلة الجماعات الإسلامية المتعصبة.

• لكن ألا تعتمد المعارضة أساساً على الهجوم ؟

– لا استطيع أن أقول هذا، لكن فى بلد مثل فرنسا أى بلد ديمقراطى تقف الأغلبية بجانب الحكومة، لكن هناك أيضاً المعارضة، والمعارضة تقوم بدورها فى النقد، وعن طريق النقد يمكن أن نفرق

بين الأشياء، والنقد هو الذى يؤدى إلى التقدم فى بلد ديمقراطى، وأنا أعنى نقد الحكومة بشكل من الأشكال فى إطار مجلس الأمة حيث تحصل الأحزاب كلها على حقها فى النقد البناء، لكن قد يحدث أن يكون هناك ومن وقت لآخر نقد سلبى أو نوع من الاحتجاج بالنسبة لبعض المشكلات، أى أن يحدث هجوم على نوع من الأخطاء أو الفضائح التى قد تستوجب التدخل، ففى فرنسا نعيش هذا النوع من الجدل بين الأفراد وبين الأفكار.

• هذا لا يمنع من أن يكون التطلع إلى السلطة من أهم أهداف المعارضة ؟

– بالتأكيد إن من أهم أهداف المعارضة هو الوصول إلى السلطة وهذا شىء واضح، وبالنسبة للانتخابات القادمة تأمل المعارضة اليمينية فى الوصول إلى الحكم، فمن المعروف لدى رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء أن الأغلبية مازالت بجانب اليمين. لكن إذا كان اليسار هو الذى يحكم اليوم فهذا يرجع إلى الانقسامات التى عانى منها اليمين فى ذلك الوقت، فإننا نخضع جميعاً لنظام انتخابى واضح.

• تتهم فرنسا بأنها دولة عنصرية ؟

– فرنسا ليست دولة عنصرية بل دولة منفتحة على العالم كله، لديها أكبر عدد من الأجانب فى العالم، لكن الاختلافات الثقافية هى التى توجد هذا النوع من المشكلات التى قد تحدث من وقت لآخر.

• هناك المجددون الذين يبغون إلى تغيير الصورة السياسية التقليدية المعروفة إلى صورة جديدة للسياسة ؟

- نعم لقد اعترضوا على ما يحدث بالنسبة للبيئة أو اليمين المتطرف، الشيء الذى دفعهم إلى إجراء بعض التغيرات الضرورية، لكن لم يؤد هذا إلى إيجاد زعماء جدد. وعلى الهامش كان لابد من التجديد وإعادة تنظيم الأحزاب السياسية، حول هذا المعنى كان المجددون على حق، وفى النهاية بعد المعارك وتبادل الآراء وصلنا إلى الاتفاق على استمرار الأحزاب التقليدية، لكن تجديد هذه الأحزاب التقليدية ضرورية. والمجددون الذين ينتمون إلى مختلف الأحزاب السياسية قد فكروا فى خلق أحزاب جديدة لكن هذا المشروع لم يتحقق لعدة أسباب وهى الارتباط بالجذور أى بكل حزب، فكيف يخرجون من حركة لتشكيل حزب آخر، وسط هذه الظروف كان الاتفاق على أن ينظم ويوضح كل حزب سياسته الخاصة.

• لقد ترددت مؤخرا عدة مرات على مصر لماذا ؟

- أولا لأننى أعرف مصر جيداً، فأنا أحبها جدًّا وأعتبر أن دور مصر بالنسبة للعالم العربى دور رئيسى، أن تكون مصر عضواً بالجامعة العربية أو لا تكون فهذا لا يغير من الأمر شيئاً فإن العالم لا يصبح له وجود بدون مصر، مصر تقع فى المركز أى فى قلب العالم العربى، فأنا أحب الشعب المصرى بصفة عامة، إنه شعب صبور وطيب، فأنا أشعر بالراحة فى مصر، وأنا لست الفرنسى الوحيد الذى يحمل مثل

هذه المشاعر لمصر، ومصر دولة مفتوحة بالنسبة للعمل الصحفى، بها نجد الصدى لجميع الأحداث، بالنسبة للسياسة نجد هناك الصدى دائماً.. فقد ذهبت إلى الأردن إلى العراق إلى سوريا، هكذا وجدت أن فى مصر توجد دائماً مادة للتأمل والتفكير، فقد اهتممت أخيراً بالنزاع الإسرائيلى العربى، الإسرائيلى الفلسطينى، ثم هناك مشكلة السودان واكتشفت أن مصر مهتمة عن قرب بما يحدث فى السودان ومستقبل هذا البلد، وطالبت أوروبا أن تساعد شعب السودان وكذلك الولايات المتحدة خاصة فيما يتعلق بالناحية الاقتصادية ومشكلة الجنوب، وعودة مصر إلى جامعة الدول العربية يمكن أن تقوم بدور هام بالنسبة لأفريقيا، خاصة بعد أن يرأس القمة الإفريقية الرئيس «مبارك»، لذا فإن مصر صامدة وسط الساحة الدولية.

سبتمبر ١٩٨٩

عندما تفشل السياسة .. تفشل الثقافة !!

محمد بن عيسى

آن الآوان أن نقف على صفحة من الصفحات المشرقة التى سجلها التاريخ الفكرى لكل من مصر والمغرب، فتحت رعاية الرئيس «محمد حسنى مبارك» كانت الاتفاقات الثقافية المغربية المصرية وعلى مستويات متعددة، والتى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن صلات البلدين كانت باستمرار صلات رفيعة المستوى.

• وفى حوار مع وزير ثقافة المغرب الأستاذ «محمد بن عيسى» كان سؤالى الأول عن نوعية هذا التقارب الثقافى الذى نشهده فى هذه الفترة الأخيرة بين المغرب ومصر قال:

– أعتقد أن هناك تقارباً قديماً وتقارباً جديداً، القديم هو أن التواصل الثقافى فى الجسد العربى بصفة عامة وفيما بين مصر والمغرب بصفة خاصة، لم ينقطع أبداً مهما كانت الظروف، لأنه تواصل يتعدى كل الحدود التى يمكننا أن نتصورها، بما فى ذلك حدود الظروف التى تفرضها بعض المعوقات، على أن ما تشهده العلاقات المصرية المغربية الثقافية الحالية هو نوع جديد وأيضا نقلة جديدة فى العلاقات بين الدولتين، ربما أن هناك جوانب يمكن أن نعتبرها جوانب نموذجية

أو رائدة من حيث تناول موضوع العلاقات الثقافية بين البلدين الشقيقتين، فقد كان هناك إسهام كبير وديناميكية وحركة جديدة فى سرعة تنفيذ ما تم الاتفاق عليه داخل اللجنة المصرية العليا، التى اجتمعت فى القاهرة عام ١٩٨٨ ، ثم اجتمعت فى المغرب عام ١٩٨٩ ، وها نحن أولاء نجتمع مرة أخرى فى القاهرة، إننا فى الواقع نسعد لأننا حققنا تقريباً ما تم الاتفاق عليه داخل هذه اللجنة، فقد تناولنا الموضوعات المختلفة بأساليب جديدة، بما فى ذلك مثلاً تنظيم معارض متخصصة أو تنظيم أيام ثقافية مثل الأيام الثقافية التى نظمتها المغرب بوزارة الثقافة عام ١٩٨٨ ، فقد كان المغرب أول دولة من العالم الثالث تشارك فى احتفالات الأوبرا الجديدة، وهذا يوضح أن هناك جانباً كان مستمرًا دائماً أعنى به النمطية القديمة، وهناك ما هو جديد فعلاً، فكوننا جيلاً آخر ربما نعكس الحماس والتلقائية التى تتوافر عليها قدرات الشباب فى مصر وفى المغرب، أى القدرات المبدعة.

● ما هى الإنجازات الثقافية التى تحققت بالفعل بين مصر والمغرب بعد ثلاث سنوات من العمل الجاد ؟

– هى فى الحقيقة سنتان فقط، فقد التقيت بالأستاذ فاروق حسنى لأول مرة عام ١٩٨٧ ، فأول ما تحقق هو أن فاروق حسنى كان أول وزير ثقافة مصرى يزور المغرب فى التاريخ وكنت أنا محمد ابن عيسى أول وزير ثقافة مغربى يزور مصر فى التاريخ.

• فأين كان التواصل إذن الذى تتحدثون عنه ؟

- كان التواصل موجوداً من خلال النخبة، كانت هناك زيارات من المثقفين المغاربة ومن المثقفين المصريين وباستمرار، وأعتقد أن هذه الزيارات أهم من تلاقى الوزراء فى بعض الأحيان، فيحدث أحيانا أن يلتقى الوزراء ولا يتم شيء، ثانياً لأول مرة تشارك مصر فى المعرض الدولى للكتاب فى الدار البيضاء، ولأول مرة تشارك المغرب فى العام الماضى والعام الحالى فى معرض القاهرة الدولى للكتاب، كما شاركت مصر فى ربيع المسرح العربى فى المغرب فى العام الماضى ولأول مرة منذ ثمانية عشر عاما تشارك فرقة مصرية فى التمثيل فى المغرب، لأول مرة فى التاريخ ننظم ندوة ثقافية يحضرها حوالى ٣٠٠ شخص من أدباء ومبدعين وتشكيليين وموسيقيين ومطربين وعلماء، فهذا يؤكد على أن هناك العديد من التبادلات الثقافية لم تشهدها العلاقات الثقافية المغربية المصرية من قبل، فعلى سبيل المثال نبدأ فى الشهر القادم دراسة مشروع إنشاء معهد عال للموسيقى الشرقية فى المغرب، وستتم إقامة هذا المعهد بالتعاون بين مصر والمغرب، كما سيوفد المغرب إلى مصر بعض الإخصائيين فى ترميم تراث العمارةالإسلامية باعتبار أن الخبرات المغربية متوافرة فى هذا الميدان. فهل يعقل أن الكتاب المغربى لم يبع أبداً فى التاريخ فى مصر إلا فى العام الماضى. إلا أن هذا لم يمنع فرحة المغرب بفوز الكاتب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل، وفرحة مصر بفوز الطاهر ابن‌جلون بجائزة الجانكور. فقد شعرنا جميعا أننا انتصرنا بلغتنا العربية.

• يقال أحيانا إنه حيث تفشل السياسة تنجح الثقافة، فهل هذا صحيح ؟

– هذا ليس صحيحاً أبداً، فحيث تفشل السياسة تفشل الثقافة، وحيث تنجح السياسة تنجح الثقافة، بمعنى أنه إذا تتبعنا الظروف التى عاشتها مختلف مناطق العالم نلاحظ أن العمل السياسى الرائد الناجح تصحبه دائماً نهضة ثقافية والعكس أيضا صحيح. هناك مراحل تبدو براقة وكأنها نجاح سياسى وإنجاز سياسى هام، ولكن الزمن يظهر لنا أن هذا العمل لم يكن فى الواقع عملاً سياسيًّا ناجحاً، وهناك حقيقة نراها كلنا الآن، لأن لبنة كل عمل سياسى ناجح هى الحرية والديمقراطية أيا كان نوع هذه الديمقراطية النمطية، الديمقراطية الغربية أو ما يسمى بالديمقراطيات الأخرى إنما أعنى احترام الرأى الآخر، أى أن يكون هناك تعددية سياسية وحزبية وتعددية نقابية، أن يكون هناك جدال وحوار حول القضايا الكبرى، أن تكون هناك حرية الانتقاد، يبقى بعد ذلك نوع المؤسسات وهيكلة هذا العمل طبقاً لتقاليد وأساليب كل دولة، لذلك فإن نجاح العمل السياسى هو من صميم نجاح العمل الثقافى، فقد قال جلالة الملك الحسن الثانى كلمة جميلة: «الديمقراطية هى ديمقراطية النخبة وليست ديمقراطية العضلات»، بمعنى آخر إن النخبة لها دور أساسى وعميق فى ترشيد العمل الديمقراطى فى البلاد، أى بعيداً عن الغوغائية التى تتحدث باسم الجماهير المسحوقة إلى آخر ذلك، يبقى أن هذه النخبة لا يمكنها أن تنفصل عن العمل السياسى بحكم أنها المؤدى والسماد لحركية العمل السياسى.

• هل المزج بين الثقافات يساعد حقيقة على التطور والنمو ؟

– أعتقد أن الثقافة مثل النبات فى حاجة إلى تلقيح وتطعيم من حين لآخر، تلقيح ذاتى لإقامة المناعة وليس المناعة من ثقافة أخرى وإنما المناعة ضد الشوائب التى تحيط بالمفاهيم الثقافية، الشوائب التى يمكن أن تمس الثوابت فى مجتمع ما أو حضارة ما، التطعيم ضرورى لأنه يقوى النبات، يقوى البنية الأساسية للنبات، ولذلك أنا شخصيًّا أومن بالتطعيم، وإذا لاحظنا عبر التاريخ كل الحضارات الكبرى حتى الحضارات الشرقية القديمة السومارية والآشورية والبابلية والفرعونية، نجد أن هناك فترات الازدهار وهى فترات التلقيح، فإن تلاقى الثقافات فيما يسمى ببحيرة البحر المتوسط قد قويت بسبب التلقيحات والتطعيم، والبلاد التى بقيت منغلقة على نفسها لم تطعم، لا تزدهر فيها الثقافة، والحجم المعرفى فيها يكون محدوداً جدًّا، مصر وموقعها فى الفضاء الثقافى فى الشرق المتوسط وفى العالم هى حصيلة هذا التطعيم، فإن إشعاع مصر وبروزها بدأ منذ الثلاثينات يعنى منذ إعلان الاستقلال، نحن الشعب المسلم، وبالتالى اعتبارا لتواجدنا فى طرف جسد لنا حساسية خاصة، فالأطراف دائماً تتميز بحساسيتها، فأصبع الأيدى والأرجل أكثر حساسية من الصدر.

• هل المقارنة بين ثقافة الغرب وثقافة الشرق يمكن أن تكون مقارنة عادلة ؟

– الإشعاع له أيضاً شروطه وأنا أعتقد أن المشكلة لا تكمن فى

المقارنة حتى نشعر بأهميتها، لكن مشكلة العربى تقوم أساساً لعدم إدراكه بذاتيته، ربما أننا انشغلنا منذ الحرب العالمية الثانية كثيرا بالآخرين، وأنا للأسف الشديد أقول هذا بكل صراحة، اعتبر أننا فى الوطن العربى حدث لنا ما حدث للغراب الذى رأى الحمامة تمشى فى خيلائها وجمالها تتهادى وقال لماذا أنا لا أمشى مثل الحمامة، وبدأ يحاول أن يقلدها، ثم توصل إلى أنه لا يستطيع أن يقلدها، وقال «يجب أن أعود إلى مشيتى»، لكنه أيضاً نسى مشيته، فلا هو يمشى مشيته ولا يمشى مشية الحمامة، أنا أعتقد أننا لم نوظف أبداً الحاضر كمحطة تأمل، فقد أمضينا سنين ربما قروناً طويلة فى نوع من الاغتراب والحنين إلى الماضى، مجدنا الماضى منذ الجاهلية قبل الإسلام مروراً بالعصور الواضحة فى الحضارة الإسلامية العربية مثل الأمويين والعباسيين وغيرهم، وصولاً إلى الحضارة الأندلسية المغربية، ولم نتوقف يوماً ما، سواء أثناء الفترات التى عرفنا فيها التردى فى الكثير من المجالات، ثم جاء الاستعمار وانشغلنا أولاً فى تحرير أنفسنا ثم فى اعتبار أن من احتلنا هو نموذج التنمية، ولم نحاول أن نكشف ذاتيتنا، نجد مثلاً أن القدرات البصرية واليدوية فى مصر أقل من المغرب وليسمح لى الأخوة المصريون أن أقول هذا فهذه طبيعة التنمية الإبداعية فى كل بلاد العالم، فإننا لا نجد فى بلد الاكتمال، فمثلاً الأعمى تقوى حاسته السمعية والأصم تقوى قدراته الأخرى، هكذا هى الطبيعة.

لذلك فإن عامل اللغة أساسى، وأنا أقول أحياناً إن للمغاربة قدرة عجيبة على تعلم اللغات وهذا معروف لأن المغرب ليست له لغة

محددة، حقيقة إن الإسلام جاء باللغة من خلال القرآن والحديث النبوى إلا أن المغاربة أبقوا على لغتهم، وحتى الأربعينات والخمسينات كان ثلثا المغرب يتحدثون بالأمازيرية، لم يحدث هذا فى مصر فقد دخل الإسلام ووحد اللغة، وعادة إن الشعوب التى لها لغة بمعنى توحيد الكلمة يصعب عليها تعلم لغات أخرى، فكلما نمى الإنسان الجانب الإبداعى للغة كلما صعب عليه أن يتقمص لغة أخرى، فمثلاً الأوربيون، الفرنسيون والأسبان عندما يتحدثون الإنجليزية، نظراً لأن لهم لغة موحدة قائمة نجد أن نطقهم سيء للغاية، إنما المغرب يتحدث اللغات بطلاقة، المغاربة يتحدثون أيضا اللغة العربية بضوابط يقل مثيلها الآن فى العالم العربى، المغربى ينزعج من اللحن فى اللغة، إننا متعصبون فيما يتعلق بالتشكيل والنحو، عندما نستمع لخطاب لأى شخص كان يلحن فى اللغة تقل قيمته قدرا فى المائة لدى المستمع بحيث أن تعلق المغاربة باللغة هو تعلق عقلانى أدى إلى احترام اللغة فى العمق، علماً بأن المغرب منذ استقلاله فى عام ١٩٥٦ للآن اعتمد اللغة العربية لغة رسميه، ونحن فى المغرب نعتبر اللغة جزاء مكرما من الكيان لأنها لغة القرآن، ويرجع إلى عهد الخديو إسماعيل يعنى افتتاح قناة السويس، بل يرجع أيضاً إلى عهد محمد على والحملة الفرنسية التى كان لها انعكاس مباشر ومصيرى فى النقلة الحضارية التى عرفتها مصر منذ عام ١٨٠٥.

ففى عام ١٨٦٧ كان بناء الأوبرا وتقديم أوبرا عايدة، ثم جاءت الطفرة الثالثة وهى الرسالة، وظهور العقاد وطه حسين والمازنى ومى

زيادة، هذه الفترة استمرت حتى الأربعينات، فكل هذه المراحل تتسم بالتطعيم، فقد انفتحت مصر على العالم تأثرت وأثرت، فأنا أذكر عبارة جميلة تقول: «إن الأمى ليس هو من لا يعرف الكتابة والقراءة فحسب ولكن الأمى اليوم لهذا العصر هو من لا يعرف إلا لغة واحدة،» وأعتقد أن فى هذه العبارة دلالات عميقة، تعلم اللغة وتعلم ثقافة أخرى، أى الاطلاع على الآخر ومعرفة الآخر، ونحن لا يمكننا أن نعمق معرفتنا عن أنفسنا إلا بقدر ما نعمق معرفتنا عن الآخرين، فهذا أمر ضرورى.

• ألا يدفعنا هذا إلى الحديث عن مشكلة اللغة فى المغرب ؟

– مشكلة اللغة فى المغرب أو حتى فى مصر كان لها تأثير عميق جدًّا فى ترشيد الإبداع، بسبب اللغة فى المغرب انصب اهتمام المبدعين، أو طبع العمل الإبداعى بالجانب المرئى والعملى، أى البصريات واليدويات، لذلك نجد أن للمغرب بعض الخصوصيات الإبداعية ليست لدى الآخرين هناك فن للعمارة اسمه فن عمارة المغرب، كما أن هناك فن التطريز والوشم والحلى، فإن الثراء الفاحش فى الإبداع البصرى واليدوى فى المغرب لا حدود له، نعود إلى اللغة، فإن المغرب لم يبدع أو لم يوظف اللغة إبداعيًّا بالقدر الذى وظفها المشرق لم نقف عراة أمام مرآة حتى فى خلوة لنشاهد تكتلات السمنة على جسدنا أو لنلاحظ هزالة أجسادنا، لقد غطينا دائماً أجسادنا بالثياب وتصورنا أجسادنا كيفما نريد دون أن نتمعن فى الأمر، هذه

هى المشكلة والواقع أيضاً هو أننا تقمصنا إنسان العالم الصناعى والكمبيوتر فى أذهاننا، ونسينا أن لنا أساساً زراعيًّا ترشده قيم زراعية حتى الملبس أصبح أوروبيًّا، بحيث لم يعد هناك توافق بين الأنا القائم والأنا الداخلى، فالوعى بالمشكلة هو نصف الحل، نحن فى كثير من الأحيان لم ننس حقيقة ما نعانى منه بمعنى أننا لم نقم بعملية التشخيص للمشاكل القائمة فينا، هناك بدون شك مفكرون ومبدعون قاموا بهذه العملية فرادى لكن فى الممارسات الثقافية اتبعنا النمطية فى العمل، فقد قلدنا حتى الأقطار العربية التى لها توجهات اشتراكية والتى قلدت النمطية الروسية أو الصينية والأقطار العربية التى كانت لها توجهات غربية قلدت النمطية الغربية دون وعى بالذات، فليس هناك ما يمنع أن نقلد ولكن بشرط أن نعرف أين نقف، كنت أقول دائماً لكى نحدد ما يجب أن نكون أو ما نريد أن نكون يجب كذلك أن نحدد من نحن ؟!

فبراير ١٩٩٠

أسطورة الحب فى مارسيليا !!

ألبير هينى

تقول الأسطورة القديمة إن أحد زعماء القبائل قدم ابنته «جيتيس» فى احتفال كبير لتكون زوجة للقائد الفاتح «بروتيس» وكانت هدية العروس لزوجها مدينة مارسيليا التى أطلق عليها فيما بعد مدينة الحب، إذ بدلا من الحروب فقد عم السلام والخير وأصبحت المدينة أكبر ميناء منفتحاً على العالم وخاصة الشرق.. وكلنا نذكر قصة «فانى» المعروفة والتى كتبها «أرنست فيدو» فى عام ١٨٥٨ والتى استوحى منها «فلوبير» قصته الشهيرة «مدام بوفارى»، هذه القصة التى تحولت إلى فيلم تدور أحداثه كلها فى مدينة مارسيليا الساحرة تم عرضه عدة مرات بالتليفزيون المصرى، وكذلك فيلم «بارسولينو» الذى قام بتمثيله الممثل العالمى «ألان ديلون» والذى تدور أحداثه فى أزقة مارسيليا وسط معاقل المافيا.. أما قلعة «ريف» القابعة فى صمت وسط جزيرة يلفها الغموض، فقد أنشأها الملك «فرانسواه الأول» لتكون سجناً منذ القرن السابع عشر، ولتزداد شهرتها بعد أن استوحى منها «الكسندر ديما» قصته الشهيرة «الكونت دى مونت كريستو»، وسط هذا الثراء الروحى والثقافى اختلطت بى المشاعر والأحاسيس وأنا أجوب الأماكن

نفسها، وأتذكر أن أول عمدة لمدينة مارسيليا، يقوم بزيارة مصر كان السيناتور «روبير فيجيروه» الذى حضر أخيراً، وفى نفسه حتمية إقامة نوع من التعاون الجديد بين موانى البحر المتوسط وخاصة مدينة الإسكندرية صاحبة التاريخ العريق..

لقدم وقيمة المدينتين سألت«ألبير هينى» مساعد عمدة مارسيليا عن سبب تلك الصورة المبهمة التى تحيط أحياناً بمدينة مارسيليا، بالرغم من شغف العالم بهذا الميناء الساحر قال:

– سأحدثك عن شيء ربما يبدو لك غريباً لكنه شديد الأهمية، وهو أن مارسيليا كانت دائماً مدينة شديدة الاعتزاز بنفسها، مستقلة، رائعة الحسن والجمال الأمر الذى أثار غيرة الأخرين، فلا ننسى مثلاً أن سكان مارسيليا لهم طابع خاص واعين لجمال مدينتهم ومدركين ثراء عطائها، فمن خلال تاريخهم الطويل، كانوا دائماً فى تناقض مع السلطة المركزية فى فرنسا أى دائما فى نزاع مع الدولة، والفرنسيون بصفة عامة ينظرون دائماً لمارسيليا بصورة سيئة، أما الآن فقد اختلفت الأجيال وأثبتت أن مارسيليا تملك كل وسائل النجاح والتطور بشكل مشرف، وأحب أن أقول إن مارسيليا ميناء يطل على الحر المتوسط، وهي المدخل إلى أفريقيا فهى تتمتع بحساسية خاصة، كما أن لها بريقاً وعبقاً لا مثيل له وبريقاً يزداد لمعاناً، لأنها تلتفت دائماً إلى البحر المتوسط أكثر ما تلتفت إلى بلدها، فقد ولدت مارسيليا من البحر وحتى القرن الماضى كانت الغرفة التجارية هى التى تدير الميناء،

وقد أصدرت الحكومة الفرنسية أخيراً تشريعًا خاصًّا لكل الموانى الكبرى فى فرنسا يعطيها حق الاستقلال والحكم الذاتى الشيء الذى سمح بالتوسع ناحية الغرب وبناء ميناء كبير وجديد يسمح بستقبال أكبر السفن، وخاصة حاملات الطائرات، ناقلات البترول والمعدات الثقيلة، وكما هو معروف وطبقاً للتقليد، فلو كان الميناء مزدهراً لتمتعت المدينة كلها بالنشاط والرخاء.

• ماذا تفعل السلطة فى مارسيليا لحماية المدينة من خطر الإدمان فأنا أعرف أنك رجل قانون ولابد أنك تملك الحلول ؟

– ميناء مارسيليا مدينة منفتحة مثل كل موانىء العالم لذلك من الطبيعى أن يظهر بها بعض التجارة المحرمة، فهذا ليس من طبيعة المدينة لكن لكونها ميناء يطل على الخارج يلتقى بها أناس كثيرون يمرون ببضائع مختلفة، ومن هنا تخلق أنشطة متوازية ليست قانونية، وأنا أعتقد أن كل بلاد العالم لا تتوفر لديها الإمكانات للكفاح ضد الإدمان لكن الصراع فى المكانة الأولى مازال فى يد البوليس والعدالة وللأسف إن القوانين الحالية ليست صارمه، فمن المعروف مثلاً أن عقوبة القتل هى الإعدام التى ألغيت فى فرنسا الآن فما بالك وتجار المخدرات المنظمون الذين يقتلون الملايين من البشر.

• هل يمكن أن أقول إن الأزمة الاقتصادية التى تجتاح العالم هى السبب الأول فى هذا الضياع الذى يعانى منه الشباب ؟

– أنا أعتبر أن الإدمان مشكلة ثقافية قبل كل شيء فإن اختفاء القيم الأخلاقية، ومهما اختلفت الأديان هي السبب الرئيسي في إحداث نوع من التفكك الأسرى. لذلك فأنا من أنصار الحملة الشرسة نحو تجار المخدرات ورفع العقوبة إلى السجن مدى الحياة، فلابد من التخويف فإذا فكر التجار في عدد السنوات التي تنتظرهم في السجن فسوف يفكرون مئات المرات قبل أن يشرعوا في هذا الحرام.

• وماذا تقول عن المافيا ؟

– أصبحت المافيا مصطلحاً يستخدم، وقد عرفت المافيا في «سيسليا» في إيطاليا واليوم أصبحت المافيا تعني الوسط أو البيئة الجماعية المنظمة كما يحدث في «كورسيكا» إنها السلطة السلطة، بمعنى التنظيم، ومنذ خمسة عشر عاماً كانت المافيا هي التي تدير الأمور، أما تجارة المخدرات فقد أصبحت من أخطر الأنشطة.

أغسطس ١٩٩٠

لتنبثق من الطام .. طام شمس العالـم الجديـد!
ليوبولد سيدار سنغور

«لسنا متوحشين، بل متحضرين من حضارة أخرى، حضارة الكرامة والنبل، حيث الطريقة منتقاة، والكلام جميل، كما أن لنا كيفية أخرى فى فهم العالم وفى أن نكون فيه، وعادات خصوصية فى الأكل والعمل فى الضحك كمـا فى البكـاء، فى الـرقص والغنـاء، فى التصويـر، فى النحت، وفى الصلاة خصوصا. عندهـا تتجـذر الفكـرة فى أعمـاقى: الفكرة، لا الكلمة، عـن حضارة سوداء مختلفـة، ولكـن متساويـة مـع غيرها».

ل. س. سنغور

معالم فى حياة ليوبولد سيدار سنغـور

ولد ليوبولد سيدار سنغور فى «جوال» على ضفاف المحيط الأطلسى فى عام ١٩٠٦ ، ليوبولد هـو اسم مسيحى رائـج منـذ عهـد ليوبولـد الثانى ملك بلجيكا، «سيدار» يعنى فى اللغة «السيريرية» الشخص الذى لا نقوى على إهانته، وسنغور يعنى فى البرتغالية «السيـد». حصل على

شهـادة البكالوريـا فى قسم الفلسفـة فى عـام ١٩٢٣ – ١٩٢٨ ، فى شهر نوفمبر انتسب إلى ثانوية لويس الكبير حيث عقد أطراف الصداقة مع جورج بومبيدو.

فى عام ١٩٣٢ حصل على رسالته للفوز بدبلـوم الـدراسات العليـا تتنـاول مـوضوع «التغـرب فى نتـاج بودليـر» ويستحـق عليهـا درجـة «مشرف»، فى عام ١٩٤٩ يتم انتخابه عضواً فى مجلس أوروبـا، وفى عام ١٩٥٢ تفوز «الكتلة الديمقراطية السنغالية»، حزبه السياسى، بنجاح ملحوظ فى انتخابات السنغـال المحليـة، عيـن فى فبرايـر عـام ١٩٥٥ سكرتيراً للدولة فى رئاسة المجلس فى حكومـة «إدجـار فـور». أسس فى «داكار» عام ١٩٥٧ حزباً جديداً على المستوى الأفريقى، العصبة الأفريقية. فى ٥ سبتمبر عام ١٩٦٠ أصبح «سنغور» رئيسا لجمهوريـة السنغال، فى عام ١٩٦٢ شارك فى مؤتمر أديس أبابا حيث تم تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية، فاز بجائزة الشعر الدولية الكبرى ويعاد انتخابه رئيساً للجمهورية، ويقوم بتأسيس «الجماعـة الفرنكوفونيـة»، وفى ٢٥ فبرايـر عـام ١٩٦٨ يعـاد انتخابـه رئيسا للجمهوريـة، حيث يبقى فى الحكـم حتى عـام ١٩٧٨ . فى عـام ١٩٨٣ تـم انتخابـه عضواً فى الأكاديمية الفرنسية، فى عام ١٩٩٠ عينه الـرئيس «فـرانسواه ميتـران» رئيساً شرفيًا للمجلس الأعلى للفرنكوفونية. وفى بلدة «أصيلة» الجميلة على شاطئ المحيـط ووسط سكانهـا الطيبيـن البسطـاء كـان الحـوار متواصلاً بين المثقفين من أنحاء العالم و «ليوبولد سيدار سنغور». بعد أن انسحب من عالم السياسة ليعيش وحدة الشاعر والحكيم بعيداً عن

الصخب، بدأ يشعر بالتعب، وأمام سنوات عمره المديدة أشفقت عليه من نفسى ومن تساؤلاتى إلا أننى أقتربت منه لأبادله بضع كلمات، فإذا به يفاجئنى بصوته الهادئ ويقول: «بما أنك مصرية فسوف نتحاور، إن بيننا لغة مشتركة، ومصر دولة كبيرة صاحبة حضارة عريقة».. فتشجعت وضاع قلقى عليه وسألته:

• حين يكتب «سنغور» يلون عواطفه ومشاعره وانفعالاته كما يلون القرى والمدن فأين سنغور الحقيقى ؟

– بعيداً عن شخصى وبعيداً عن أسرتى سأحدثك عن أجدادنا نحن السنغاليون، يقول خبراء علم الإنسان إنهم تركوا وادى النيل منذ أكثر من ألف عام قبل الميلاد، ولهذا السبب فإن لغتنا هى لغة لها عدة عناصر مرتبطة بعضها ببعض مثل معظم اللغات الأفريقية وخاصة اللغة المصرية القديمة، أقول هذا لأوضح لك أننى أفريقى لكن «سنغور» هو اسم برتغالى يجىء من كلمة «سنفور» وبلدتى الصغيرة التى ولدت فيها على شاطئ المحيط الأطلنطى والتى تبعد مائة وعشرين كيلو مترا جنوب «داكار» قد أسسها «البرتغاليون» واسمها «جوال» وهو أيضا اسم عائلة برتغالية، فهذا يعنى فى النهاية أننى ملون وعندما اكتشفت لأول مرة أننى ملون بدأت أشعر بالخجل (يضحك) ثم فكرت فيما قاله لى البروفسور «بول أوريفيه» الذى أسس متحف الإنسان.. وأنا مازلت أسمعه وأراه وهو يبين لى خريطة البحر المتوسط ويشرح لى أن حول هذه المنطقة ولدت

أول وأعظم الحضارات في العالم.. وكان هذا يعني أنه بفضل التلاقح البيولوجي والثقافي بين أفريقيا، وأوروبا وآسيا عرف العالم التطور، وقد زودني هذا المعنى بشيء من الاعتزاز بالنفس لكوني ملوناً ثقافيًّا، وكما تعرفين أنني منذ انطلقت في عالم السياسة، وأنا حريص على إقامة نوع من التعاون المشترك بين أفريقيا العربية البربرية، وأفريقيا، واللغة الأفريقية الجديدة.. قد يبدو ذلك الأمر معقداً، لكن هناك جذوراً مشتركة تربط بيننا، فإننا نتحدث لغة مشتركة والتلاقح بين العرب والأفارقة قد أثرى ثقافتنا الأفريقية ككل، وقد عملت بتدريس اللغات لكن أهم من هذا كله أنني شاعر.

• لم تذكر أنك كنت رئيس دولة، فهل هذا يعني أنك توافق على التفرقة بين رجل الثقافة ورجل السياسة ؟

– أنا لا أفرق بين الثقافة والسياسة أبداً، وهذا يعني أنني متأصل في أفريقيتي، فأنا أعتبر أن هناك نوعاً من الاتحاد بين مصر وأفريقيا المصرية و أفريقيا العربية البربرية.. فأنا ملون ثقافيا، اللغات والثقافات الأفريقية متأصلة في، فقد تخطينا في السنغال الفوارق بين الأجناس وبين الأديان، فمثلاً عائلة أبي كانت مسيحية.. بينما عائلة أمي كانت مسلمة، من هنا كنت أنا في الوسط بين الاثنين، فعندما كنت رئيس دولة عملت دائماً على الربط بين المسيحية والإسلام، ففي السنغال ثلاث لغات كلاسيكية وكنت أنا أول من أدخل اللغة العربية لتدرس

فى المدارس والجامعات، وهذا لأننى أؤمن بأن على أفريقيا أن تزداد ثراء بما تملك من خبرات، ففى المؤتمر الأول للعلوم الإنسانية الذى عقد فى مدينة «فيس» فى عام ١٩٨٢ أعلن أن المصريين هم أصحاب أعظم الحضارات الإنسانية، وهذا لأنهم اخترعوا فن الكتابة منذ ألف وخمسمائة عام قبل الميلاد..

• ماذا يقول المفكر السياسى «ليوبولد سنغور» أمام اتحاد الغرب؟ وما هى سياسة أفريقيا الحالية والمستقبلية إزاء هذا التكتل الجديد ؟

– فى الواقع أن لدينا فى أفريقيا منظمة الوحدة الأفريقية إلا أنهم يفرقون بين العربية البربرية والزنجية الأفريقية، وهذه تفرقة لا مكان لها، فإذا نظرت إلى الجدول العددى لفصائل الدم وجدت أن النوع الغالب هو الفصيلة البدائية، فإن تميز العنصر الأفريقى لم يأت من فراغ، فإن العرب هم أول من عرفوا علوم الرياضيات والفلك، وقد أخذ الغرب من الفن الزنجى ما أسماه بالفن الحديث، وقد كتب أرسطو يقول: «لنأخذ التاريخ من المصريين» أريد أن أضيف أن هذا التلاقح بين العرب والأفارقة هو الثراء بعينه، إذن فلا مجال للإحساس والمعاناة من العقد النفسية، ففى هذا القرن تعيش أفريقيا فترة ازدهار جديدة، لكن على الأفارقة أولاً أن يتفهموا معنى التلاقح، وعلينا إقامة نوع من التعاون المشترك، لأنه عن طريق هذا التلاقح الثقافى سوف تكون هناك نهضة أفريقية، فلا داعى لاهتمامنا بالتلاقح البيولوجى لأنه يحدث من تلقاء نفسه.

• عن وضع المرأة الأفريقية ماذا تقول ؟

– المرأة الأفريقية تطورت بشكل ملحوظ، وقد عملت جاهداً خلال سنوات طوال حتى تتحرر الفتاة والمرأة المسلمة والمسيحية، وقد تجاوزنا فى السنغال التفرقة بين الأجناس وبين الأديان . القارة الأفريقية لن تتقدم بدون الاعتماد على الرجل والمرأة معاً.

سبتمبر ١٩٩٠

ميتران يحضر افتتاح جامعة الإسكندرية
موريس بورتيش

وكما يقال ويتردد فى فرنسا أخيراً أن هذا العام هو عام مصر، بمعنى أن كل وسائل الإعلام الفرنسية قد شغلت بتغطية ما يدور على الساحة السياسية، الثقافية، الفنية والاجتماعية المصرية، فقد شهدت فرنسا نشاطاً واسع النطاق فى مجال الصحافة، الإذاعة والتليفزيون، المتاحف والمعارض، ولا يعتبر هذا غريباً أو مستغرباً بالنسبة للعلاقات الفرنسية المصرية التى يرجع تاريخها إلى قرون عديدة، انطلاقاً من واقع هذا التحرك الأخير كان لقائى بالسيد «موريس بورتيش» مساعد وزير الخارجية الفرنسى «ألن ديكوه».. بمكتبه وسط العاصمة الفرنسية وفى قلب الأحداث حيث سألته عن فاعلية التحرك الدبلوماسى على مستوى القمم، أى على مستوى رؤساء الدول، خاصة تلك الحكومات التى تستخدم اللغة الفرنسية جنباً إلى جنب مع باقى اللغات الأخرى.

قال:

– إن اهتمامنا بالدول الناطقة بالفرنسية متعدد الجوانب ولا يتركز فى انتشار اللغة الفرنسية فى أنحاء العالم، هذا القطاع الذى يتبع الإدارة العامة للعلاقات الثقافية العلمية والفنية التابع لوزارة الخارجية الفرنسية،

أى أن هذا القطاع بالذات تحكمه العلاقات الثنائية الفرنسية المصرية، أما النطق بالفرنسية أو الفرنكوفونية فهى حركة سياسية نمارسها فى نطاق ٤٠ رئيس دولة بالفرنسية، وأكبر مثال على ذلك العلاقات الفرنسية المصرية التى تأخذ صور التحالف بينها، المعاهد والمراكز الثقافية والمدارس، ويسعد فرنسا انضمام مصر إلى الأربعين دولة الناطقة بالفرنسية.

• من المعروف أن اللغة الأولى فى مصر هى اللغة العربية ثم اللغة الإنجليزية، ثم اللغة الفرنسية، أليس من الصعب إذن اعتبار مصر من بين الدول الناطقة بالفرنسية ؟

– نعم أعرف ما تريدين أن تقوليه، لكن العائلة الفرنكوفونية كما نقول بيننا، عائلة مرنة تعمل بطريقة غير شكلية، وهذه المرونة هى قوة فى حد ذاتها وثراء. فنحن لا نقيم هنا اعتباراً للإمبراطورية الاستعمارية القديمة، لكننا نتجاوز كل هذا وكل ما يهمنا هى ا لدول التى تعتبر اللغة الفرنسية لغة وطنية، لغة دولية، ويمكن أن أعطى مثلاً واضحاً على ذلك سويسرا العضو فى قمة الدول الناطقة بالفرنسية، وهى فى نفس الوقت تتحدث ثلاث لغات كما نعرف الألمانية والإيطالية والفرنسية، كما أن هناك أيضاً كندا وبلجيكا، فلماذا تستبعد مصر؟ فإن اللغة الفرنسية لم تكن أبدًا اللغة الاستعمارية فى مصر، فهى اللغة المحببة إلى القلب، التى لم تفرض، لغة الاختيار، أو ما أسميه الزواج القائم على الاختيار وليس القائم على العقل، لهذا السبب فإن

فرنسا شديدة الحساسية تجاه مصر ونقدر لها كل مواقفها السياسية، وهذا واضح من وضع مصر الاستراتيجى لكونها فى قلب الشرق الأوسط، وعلى المستوى الدبلوماسى فإنها النافذة التى تطل على العالم، ويعتبر هذا انفتاحاً لمصر يعطى لها شعاع التحرك السياسى والدبلوماسى المتعدد الجوانب، فيجب ألا ننسى أن كل سنتين تقريبا يجتمع زعماء الدول الـ ٤٠ التى تنطق بالفرنسية لمناقشة مختلف المشاكل الاقتصادية، وهدف الفرنكوفونية هو أن ندرك أهمية الحوار لمحاولة حل المشكلات والوصول إلى نتائج أفضل، وهذا ما حدث مثلاً فى قمة «داكار» وكذلك مشكلة لبنان التى تهم العالم كله، ومشكلة تشاد، إذن فإن حضور مصر له أهمية سياسية خاصة.

• على مستوى العمل الثنائى، هل اكتملت صورة النشاط الفرنسى فى مصر فى مختلف المجالات ؟

– أعتقد أن الفرنكوفونية المتعددة الجوانب، أو أن التحرك الدبلوماسى سوف يسمح حتماً بتطوير الأنشطة الفرنسية فى مصر، ولابد أن أعطى مثالاً: المشروع الكبير لانشاء جامعة الإسكندرية، فقد اختارت فرنسا إقامة جامعتها فى مصر بالذات، والاختيار لم يكن عفوائيا، هذا الاختيار الذى أعلنه الرئيس الفرنسى «ميتران» فى قمة داكار إنما يؤكد على المكانة الرفيعة التى تحتلها مصر بالنسبة لدول العالم.. كما أن الرئيس الفرنسى سوف يحضر بنفسه افتتاح الجامعة وبناء على دعوة الرئيس حسنى مبارك له التى سوف تكون على الأرجح فى أوائل شهر نوفمبر

القادم، وهذا يؤكد على أن مصر لها وضع سياسى وثقافى خاص وأن السنوات المقبلة سوف تشهد توسعاً بالنسبة للمجهودات الفرنسية المصرية.

• تحدثنا على مستوى الجامعات والدراسات العليا، لكن ماذا عن المرحلة الثانوية أو الإعداد المدرسى ؟

– إن انخفاض مستوى تعليم اللغة الفرنسية بصفة عامة فى بعض المدارس فى مصر يعتبر مشكلة عامة تعانى منها فرنسا نفسها، وأعتقد أنها مشكلة مجتمع ككل، بمعنى أن وسائل الإعلام وأقصد الإذاعة والتليفزيون أصبح لهما تأثير مباشر على التعليم وأعتقد أن وجود جامعة الإسكندرية سوف يساعد حتماً على تخريج جيل من الكفاءات سوف يساعد على تدعيم اللغة الفرنسية فى مصر.

• ليس هناك مجالات أخرى للتعاون الفرنسى المصرى المشترك فى المستقبل ؟

– بما أن مصر عضو فى قمة الدول الناطقة بالفرنسية فهى لها النصيب الأكبر بالنسبة للمشاريع التعاونية، قد يبدو البعض منها غير مرئى، كان هناك مسألة البيئة، فسوف يتم إنشاء شبكة كبيرة متخصصة على درجة عالية من الكفاءة فى المجال الفنى، الزراعى والطاقة، أما على المستوى الثقافى فهنالك المنح الدراسية، عقد الندوات والمحاضرات ودعوة الكتاب والمثقفين المصريين، بذلك تستطيع فرنسا أن تحقق

نوعا من التضامن والتكامل بين مختلف الدول الناطقة بالفرنسية مثل السنغال وساحل العاج.

• كما أرى قد يدعوا الأمر غلى التفاؤل ؟

- أشعر دائماً أننا لا نعمل بما فيه الكفاية، لكن لابد من المزيد من العمل والتحرك على كافة المستويات، فإن مصر دولة عربية إسلامية، قد يكون الإسلام فى مصر أقوى ومختلفاً عن باقى الدول المحيطة، فأنا أعلم أن بمصر إسلاما متسامحاً لا يعرف التعصب بين الأديان، لكن فرنسا دولة مسيحية لذلك لابد من إحداث نوع من التوافق بين حضارتين.

• تتوجه المراكز الثقافية فى مصر لمن يعرفون الفرنسية فقط، هؤلاء الذين ليسوا فى حاجة إلى ثقافة أو توعية، بمعنى أنهم يبحثون عن الثقافة بأنفسهم، أما من هم فى حاجة إلى توعية فهم بعيدون عن هذه المراكز، فكيف يمكن جذب هذه الفئات ؟

- كيف يتسنى لنا أن نحل هذه المشكلة، إنها مسألة تكوين، وهذا السؤال طرحته مراراً على الملحقين العاملين فى مجال الثقافة فى مصر، وعلمت أن المركز الثقافى الفرنسى موجود بالفعل فى حى شعبى، فكيف يحدث أن الذين يترددون على المركز من خارج الحى، هذا ما لم أفهمه، لذلك لابد أن يكون هناك تقارب جيد من الشعب، يسمح بجذب هذه الجماهير، لابد من وجود حلول عملية، فالمسألة

ليست سهلة على الإطلاق. فهؤلاء الذين لا يعرفون الفرنسية، كيف يأتون ليشاهدوا فيلماً باللغة الفرنسية.

• مجال الترجمة مازال فى حاجة إلى تدعيم، فكيف يعقل مثلاً أنه لا توجد فى مصر سوى مكتبة فرنسية واحدة ؟

– لا يمكن إغفال مجال الترجمة، خاصة التراجم الأدبية ولابد من زيادة عدد الكتاب المصريين المترجمين إلى اللغة الفرنسية والعكس، فإننا نعمل بمنهج يشجع القراءة ويساعد على تطويرها باستمرار، لذلك لابد من إقامة مكتبات فرنسية جديدة تساعد على تقديم كل ما هو جديد فى عالم الكتاب وبأسعار مناسبة.

أكتوبر ١٩٩٠

حقوق الكتاب .. على الأرصفة

كلود دى لاريه

الأديب السويسرى «كلود دى لاريه» حائز على العديد من الجوائز الأدبية، قدم ما لا يقل عن سبع روايات ومجموعة من القصص القصيرة والدراسات، يعمل مستشاراً لكبرى دور النشر الفرنسية وهى دار «فلاماريون» بباريس.. أثناء زيارته الأخيرة للقاهرة قام بإلقاء عدة محاضرات فى أقسام اللغة الفرنسية فى كل من كليات الآداب بجامعة القاهرة وعين شمس والإسكندرية، وفى لقاء معه سألته:

• من المعروف أن دور النشر بباريس لها موقف منغلق إلى حد ما تجاه الكتاب الأجانب أى هؤلاء الذين يكتبون بلغات أخرى لماذا؟

– مشكلة الكتاب الأجانب هى أنهم يكتبون بلغات مختلفة، لكن مع ذلك فهناك قسم خاص بدار «فلاماريون» الفرنسية أنشئ أخيراً ومهمته فحص أعمال الكتاب الأجانب والتعرف على ما هو صالح منها للترجمة، فبعد فوز «نجيب محفوظ» بجائزة نوبل تنبهت دور النشر فى العالم كله لأهمية وضرورة الانفتاح على ثقافات وآداب العالم، لكن هذا لا يعنى أن جائزة نوبل هى التى وراء بيع وتوزيع أى كتاب!

• ما الذى يساعد إذن على توزيع ونجاح أى كتاب ؟

– لو عرف الناشرون هذا لكانوا أول المستفيدين، فلا أحد يعرف سبباً لذلك حتى وقتنا الحالى، إذ لا توجد قواعد ثابتة تحدد عملية الإقبال على كتاب دون آخر، لكن بصفة عامة يمكن أن أقول إن تعدد الجوائز الأدبية فى فرنسا سنويًّا يمكن أن يساعد على بيع الكتاب، فهذه الجوائز عددها تقريباً خمس جوائز كبرى، لكن من المتبع أخيرا فى فرنسا أنه لو أردنا بيع كتاب فلابد أن يمر خلال البرنامج الثقافى الشهير الذى كان يقدمه التليفزيون الفرنسى، هذا البرنامج كان يقدم كل ما هو جديد فى عالم الكتاب، وهذا يعنى أن التليفزيون فى فرنسا له دور هام بالنسبة لتوزيع الكتب، وإذا لم يبع كتاب خلال أسبوعين فهذا معناه نهايته.

• كيف تنظم العلاقة إذن بين الكاتب والناشر فى فرنسا ؟

– العلاقة بين الكاتب والناشر فى فرنسا دقيقة للغاية، فللناشر هيكل عام ينظمه أسلوب ناجح فى الإدارة، فالناشر قوى لأنه يعرف القانون جيداً ويلتزم به، فهناك نوع من التعامل الشريف بين الناشر والكاتب، فعندما يسلم الكاتب للناشر أصول كتاب يتسلم مبلغاً من المال هو بمثابة دفعة أولى تحت الحساب من حقوق الكاتب. وعندما يقبل الكتاب يوقع عقد بين الطرفين، وهذا العقد عبارة عن صورة متكاملة وواضحة يعمل بها كل الناشرين، حقيقة إنه يمكن تغيير البنود وفقاً لكل كاتب، ولكن هناك صورة محددة لعقد ثابت موضح به كل

النقاط الأساسية، بعد ذلك هناك مرحلة أخرى وهى توزيع الكتاب.. أى الشيء الذى يثبت حقوق الكاتب إذ يحاسب طبقا لنسب التوزيع، وإذا كان هناك طبعات أخرى.

• كيف يضمن الكاتب إذن ألا يتلاعب الناشر فى حقوقه ؟

– أولاً لابد أن تكون الأمانة والثقة متوافرة بين الطرفين، فإذا كان هناك كاتب متأكد من ارتفاع نسبة توزيع أعماله فعليه فرض نوع من المراقبة عن طريق مكاتب الضرائب وإرسال محاسب خاص للناشر، وفى هذه الحالة يكون الناشر مطالباً بإثبات حساباته، فلا يجوز للناشر بأى حال من الأحوال أن يطبع طبعات أخرى دون إخطار الكاتب. لذلك توجد فى فرنسا المؤسسة العالمية للآداب.. ووظيفتها الإشراف على حقوق الكتاب، فهى مؤسسة رسميه أنشأها الكاتب الفرنسى الكبير «بومارشيه» فى القرن الثامن عشر.

• وما الدور الذى تقوم به اتحادات الكتاب فى فرنسا بالنسبة لهذه المشكلة بالذات لأن مصر تعانى من مسألة ضياع حقوق كتابها على الأرصفة ؟

– هناك عدة اتحادات وجمعيات أدبية، وكلها هيئات متخصصة تعمل على حل مشكلات الكتاب الاجتماعية والقضائية، خاصة فيما يتعلق بحقوق الكتاب بالنسبة للوسائل السمعية والبصرية، فمن المؤسف حقًا أن تكون مهمة الكاتب هى السعى وراء حقوقه، فإن حقوق الكتاب هى بالضبط مثل حقوق الإنسان، فلابد أن تكون هناك مراقبة

من قبل الدولة، لأن الأمر يتعلق بالأملاك الخاصة، فما بالك بشخصية الكاتب؟ لذا لابد أن يحترم الكاتب كما تحترم أعماله وكما يحترم الإنسان.

• وعن سرقة الأعمال الأدبية ماذا تقول ؟

– لهذا السبب أنا لا أتحدث أبداً عن أى عمل أقوم بإعداده قبل أن ينجز، فالعمل الأدبى أو الإنتاج المكتوب مثل العقار لابد من تسجيله خاصة أننا فى عصر القرصنة، فمن المعروف أن القضاء هو الجهة الوحيدة التى يمكن أن تحافظ على حقوق المبدعين.

• خطر لى أن أنتقل من سرقة النصوص الأدبية الإبداعية إلى سرقة الدول، ماذا تقول لى عن أزمة الخليج، خاصة أننا فى نهاية القرن العشرين؟ فماذا يقول المثقفون فيما يحدث على الساحة السياسية فى الشرق الأوسط ؟

– إذا تحدثنا عن السياسة فيجب أن ننسى، أولا أننا أدباء. ولكن سنتكلم كمواطنين نسكن هذه الأرض نعيش على هذا الكوكب، علينا أن ندرك واقعاً معيناً وهو أنه على الرغم من وجود قانون حقوق الإنسان وعلى الرغم من تطور علم الأخلاق إلا أن الأمر لم يتحسن عن ذى قبل، فما زالت الحروب موجودة وستظل كذلك فالمسألة أصبحت تتعلق بطبيعة الإنسان نفسه والعطش دائماً إلى الدماء. بالنسبة لمنطقة الخليج فكلنا يعرف أن منطقة الشرق الأوسط ومنذ فترة طويلة لها استراتيجية خاصة، لذلك فهى دائماً منطقة على درجة كبيرة من

الخطورة، لست رجلاً أعمل بالسياسة فلا أستطيع أن أقول لك ما يمكن أن يحدث فى المنطقة، لكن أشعر أن اجتياح العراق للكويت قد أيقظ الولايات المتحدة والدول الأخرى لأهمية هذه المنطقة، فأنا أعنى وجود آبار البترول، فالمسألة كلها هى مشكلة الطاقة ومشكلة الأموال، وحقيقة أن حضارتنا ارتبطت بالبترول، لذا أصبحت حضارتنا مهددة، لأن المسألة أصبحت مسألة اقتصادية، فلا ننسى مثلاً أن الولايات المتحدة تعانى من الإنهيار الاقتصادى والعجز فى الميزانية وهذا يعنى أن الكوكب كله فى حالة إنهيار، فالمسألة لم تعد مسألة الأقوى، ولكن حتى الأقوى أصبح ضعيفاً، فنحن نشهد إنهيار النظام الماركسى فالاتحاد السوفييتى بعد أن كان قوى عظمى، بسبب اقتصاده المنهار لم يعد كذلك، أمام هذا، عدم التوازن الدولى لم يعد الاتحاد السوفييتى يقف إلى جانب العراق، ونهاية الأيدلوجية الماركسية مسألة عادية، لأن هذا يعنى إنهيار الاقتصاد أى تداعى المجتمع ككل، والغريب أنه منذ فترة طويلة أى منذ حوالى خمسة وأربعين عاماً لم يشاهد الغرب حرباً واحدة جديدة، فالغرب يسعى إلى الحرب ولكن هذه المرة سوف يختارها بعيداً عنه، أى ستكون فى منطقة الخليج.

• هل هناك فرق بين أسلوب كتابة الرواية وأسلوب كتابة القصة القصيرة ؟

– نعم بكل تأكيد فهما لونان من الفن يختلفان تماماً، القصة القصيرة تعتمد على التركيز، تطور الأحداث فيها يختلف عن الرواية،

والرواية تتطور من خلال عدد كبير من الصفحات، إنها جملة مواقف تنمو ببطء. أما القصة القصيرة فهى تتحدد من خلال موضوع واحد، مركز، يتشكل فى أقل عدد ممكن من الصفحات، إنه تكنيك مختلف وأسلوب تفكير أيضاً مختلف، فأنا مثلاً أجد صعوبة شديدة فى كتابة القصة القصيرة عندما أكون منشغلاً بكتابة الرواية، وهذا لأن الايقاع يختلف تماماً.

• وهل يختار الكاتب لنفسه الشكل الفنى الذى يعبر من خلاله، أم يجد نفسه مرة فى إطار ومرة فى آخر ؟

– أعتقد أن الكاتب يختار الشكل الذى يعبر من خلاله، فهناك موضوعات خلقت من أجل القصة القصيرة وموضوعات أخرى خلقت للرواية، وبناء على ذلك يمكن للكاتب أن يختار، فأنا الآن أعمل فى مجموعة قصص قصيرة وأنتظر أن أنتهى منها حتى أبدأ فى كتابة رواية جديدة.

• تستغرق كم من الوقت فى كتابة الرواية ؟

– أنا عادة أستغرق ما بين عام ونصف وعامين، وهذا لأننى أعمل فى أنشطة أخرى إلى جانب الكتابة، كما أن جميع مراحل الكتابة أقوم بها بنفسى مثل: المراجعة والكتابة على الآلة الكاتبة.

• ما هى المكانة التى تحتلها المرأة فى أعمالك ؟

– للمرأة دور أساسى فى أعمالى كما لها دور أساسى فى حياة

الرجل، فى كتابى الأخير كان للمرأة دورٌ هام خاصة فى فترة الحرب، بعد حادث تصاب البطلة بالشلل، والمرض هنا استعارة عن الإعاقة، ومن فوق الكرسى المتحرك تنشأ علاقة حب بينها وبين الشخص الذى يتولى دفعها بهذا الكرسى، على الرغم من احتياجها إليه إلا أنها تتمسك باستقلالها.

• ماذا تقول لكتاب العالم الثالث ؟

– لاحظت أن هؤلاء الكتاب يهتمون بالشكل، ولكن المشكلة الرئيسية للنجاح هى إكتشاف الواقع أو محاولة الإقتراب من هذا الواقع، وأساس هذه المشكلة سياسى قبل كل شيء بمعنى التحول العنيف إلى المجتمع الصناعى دون مراعاة للهوية الطبيعية، وأنا أرى أنه لكى يؤكد الكاتب نفسه هو فى حاجة لقدر كبير من الحرية.

• ما الذى يبحث عنه عندما يكتب الكاتب ؟

– الكاتب فى عملية بحث دائمة عن نفسه، عن الآخرين طالما أنه جزء من هؤلاء الآخرين، يجب ألا نخجل من ذلك الإحساس الذى قد يصفه البعض بالأنانية.

• ينتقد النقاد تواجد بعض الكتاب داخل أعمالهم ؟

– كيف يحاسب إنسان على وجوده، فإذا كنا نعيب على الكاتب تواجده داخل أعماله فهذا معناه أننا نقول له لماذا ولدت أو لماذا

جئت لهذه الدنيا.. فالأديب يكتب بكيانه كله، لا يكتب بيديه مستخدماً عقل إنسان آخر.

• لماذا نجد النقاد دائماً متطفلون ينقبون عن الكاتب داخل أعماله ؟

– ليست لدى النقاد أفكار خاصة بهم، لذلك هم يحاولون البحث عما ينقصهم عند الآخرين، وأنا لا أميل إلى هذا النوع من الطفيلين، فهناك نوعان من النقد واحد أكاديمى والثانى وسيط، النوع الأخير هو الذى نجده فى الصحف والذى يعتبر نوعاً من الإعلان، وللأسف أنه منتشر فى فرنسا، إلا أننى أطلق عليه النقد الغبى، أما النقد الذى أحبذه فهو النقد الجامعى الذى يستخدم أدوات الآخرين لبناء عمل نقدى وفنى متكامل.

ديسمبر ١٩٩٠

طائر .. سيدى « بو سعيد » !

جون اوريزيه

عرف الشاعر الفرنسى المعاصر «جون أوريزيه» بأنه من أكثر الشعراء سفراً وترحالاً، وذلك حتى يتغلب على ما أسماه «الحماقة المعاصرة»، نادى بحاضر أفضل، فإذا به لا يتحسس إلا المستقبل المظلم، لم يعط ظهره إلا للموت فإذا به يدرك أنه لن تتبقى له إلا «بضع نوافذ مضيئة وسط مزارع الليل الواسعة»، اجتاز الكوكب ليعبر عن صور الجمال فيه كأنها كائنات دبت فيها الحياة، لذلك كانت الأحداث عنده توأما للحلم.. فقد كتب يقول فى قصيدة له بعنوان «طائر سيدى بو سعيد»: «ظهر فى اللحظة التى علا فيها صوت المؤذن ينادى بصلاة العشاء.. تحرك فى البداية ناحية المقهى، لكن ريحاً خفيفة جعلته ينساب.. فى طريقه، ذلك الخط الذى.. امتزج فى طريق واحد حيث.. يتزاوج البحر والسماء..» فمن المعروف أن «أوريزيه» يشغل منصب سكرتير عام أكاديمية «مالرميه» و«بن كلوب» الأدبى الفرنسى العالمى، والمسئول عن دار الشعر فى فرنسا، وعندما التقيت به أخيراً وسط العاصمة الفرنسية سألته إذا كان الشعر فى فرنسا ما زال يحتل مكان الصدارة بين الآداب الأخرى، قال:

– أريد أولا أن أضيف أن أهم هذه المناصب التى تحدثت عنها هى أننا فى «بن كلوب» الأدبى ندافع أساساً عن حقوق الكتاب المعتقلين داخل السجون لأسباب سياسية، فمن أهدافنا الرئيسية الدفاع عن كرامة وحرية المبدعين، هذا هو أول ما أردت التنويه عنه، أما فيما يخص الشعر فيقال أحياناً إن زمن الشعر قد انتهى فى فرنسا، فمثل هذه المقالات تطالعنا أحياناً فى الصحف، لكننا نعرف أن القرن التاسع عشر هو القرن الذى انتشرت فيه صناعة الكتاب وانتشار الصحف والمجلات، لكن لكى نقيم نوعاً من المقارنة يجب ألا ننسى أن فرنسا اليوم بها حوالى خمسة ملايين أمى لا يعرفون القراءة والكتابة، وهذا يعنى أن عدداً من الناس يتمتعون بقدر ضئيل من القراءة والاستقبال، لكن على الرغم من تلك الظروف عرف الناس شاعراً كبيراً عاش فى القرن التاسع عشر وهو «بودلير» فهذا يعنى أن الشعر سيظل دائماً على قيد الحياة.

• ألا يدعونا هذا إلى الاهتمام بالشعر فى المراحل الدراسية المختلفة ؟

– أنا أذكر أنه لم يوجد منا من لم يكتب الشعر فى حياته خاصة فى فترة المرحلة الدراسية، وهذا ما أسميه بشعر الطفولة والمراهقة، هذه الفترة التى قد تتوقف عند الكثير من الناس ربما لتأخذ شكلاً مختلفاً وقد تستأنف عند البعض لكتابة الشعر فى سن متقدمة، وهذا ما يسمى بالعقد الثالث، وأنا أعتبر هذا واقعاً اجتماعيًّا شاهدته خلال

السنوات الأخيرة مع العديد من الشعراء وهذا يوضح أن المرحلة الدراسية ذات أهمية بالنسبة لتكوين قدرات الطفل، فبعد المرحلة التى يتعلم فيها الطفل الأناشيد يجىء دور الشعر ليصبح وسيلة أو ما أسميه بنداء الحساسية والخلق، ومن خلال تجربتى فقد قمت بزيارة العديد من المدارس بمختلف المراحل ومختلف الأعمار ورأيت كيف تولد اللغة عند التلاميذ، فالطفل يدرك تماماً أن الكلمة هى التى تصنع الصورة، ومن هنا يتعلم الإستعارة فمن عادة مناهج التدريس أن تعلم الأطفال أن كل الشعراء موتى، لكن زيارة الشعراء للمدارس أفادت وساعدت التربويين خلال السنوات العشر الأخيرة فى فرنسا، فالواقع يقول إن هناك أيضاً شعراء أحياء.

• إذن فهذه الرابطة القائمة بينك وبين الطفل ألم تكن دافعاً لتكتب الشعر للأطفال ؟

– هناك شعراء يكتبون عن الطفل لكن معظمهم من المعلمين أو التربويين الذين يتمتعون بقدر من المعرفة والإلمام بعالم الطفل ومشكلاته، حتى مرحلة الشباب فعندما أكتب الشعر أبدأ دائما بالجزئيات لأصل إلى الكل، وأشعارى تتميز بأنها قصيرة جدا موجزة والصور الجمالية بها مركزة للغاية.

• الصراع مستمر بين مختلف الاتجاهات الشعرية، والكل يريد أن ينصب نفسه صاحب مدرسة أو اتجاه فما هو أساس هذا التناقض ؟

– هناك جماعات واتجاهات ومدارس مختلفة للشعر فى فرنسا لكن من الملاحظ أن هذه الاتجاهات لا تعبر عن نظرية محددة، فهناك عدة مظاهر حدثت خلال هذه السنوات الأخيرة أدى إلى تجمع بعض الشعراء حول مجلة مثلاً أو يحتجون على قواعد توزيع الجوائز، فكل شاعر منهم ينتمى إلى مدرسة معينة يستمر فى الكتابة كما يريد، وهذا ما يسمى بالشعر المختصر المبهم، وأريد أن أضيف أن هذا النوع من الشعر ليس له قراء إلا من بين الأكاديميين الدارسين، وهذا ما أسميه أنا بالشعر المعملى.

• هناك كتاب يكتبون القصة القصيرة بإيقاع الشعر فماذا تقول عنهم ؟

– منذ عشرين عاما وأنا أعمل فى قطاع النشر، وقد التقيت بالكثير من هؤلاء الكتاب يبدءون بالشعر ثم يواجهون المشكلات، فيتركون أنفسهم للنشر، فالقصة القصيرة شيء جاد، لكننى لم أنجح فى كتابة القصة القصيرة، ولكن كتبت الشعر المنثور الذى لا يحكى قصة لكنه يقول أشياء ويعبر عن مشاعر فيه نجد الحركة ونجد الموسيقى.

• كيف تسير الحركة الأدبية فى فرنسا ؟

– هناك ظاهرة واضحة فى فرنسا وهى اهتمام أجهزة الإعلام بالأدب، هناك مثلاً برنامج «أبستروف» المعروف والذى أنشئ منذ حوالى خمسة عشر عاما وأصبح ظاهرة اجتماعية وأحسن ما يقدم الكتاب النقاد والمفكرين، فنجد مثلاً الكتب البوليسية، الخيال العلمى،

الكتب النفسية والعاطفية، الدراسات السياسية والأدبية، والكتب التاريخية. وهذه النوعية من الكتب تبيع ما لا يقل عن ٣٠٠ ألف نسخة، وهناك نوعية من الناس تشترى الكتب ولا تقرؤها.

• هل يجب أن يكون الكاتب خلف أعماله ؟

– بكل تأكيد، هذا هو العنصر الأكثر أهمية، وهؤلاء من يطلق عليهم الكتاب الأكثر شعبية وأعرف منهم «روبير سباستيه» الذى يعتبر من أكثر الكتاب شيوعاً فى باريس وأعماله اتسمت بالبساطة، ويوزع مئات الملايين من الكتب، وأنا أعتبر أن هذه المسائل أصبحت مبهمة ولا علاقة لها بالأدب الحقيقى، لكن الظاهرة مستمرة، ربما أن هناك نوعاً من التوافق مع الجمهور لكن الظاهرة مستمرة، فهؤلاء الكتاب يقدمون ما يريده الآخرون، مع ذلك هناك من يكتب طبقاً لأحلامه دون أن يهتم بكل ما يحدث من حوله، واليوم كل كتاب يطرد الآخر، وإذا لم يبع الكتاب خلال ثلاثة شهور يختفى، وهذه ظاهرة خطيرة لأن الكاتب يعمل لمدة قد لا تقل عن سنتين، ثم يختفى الكتاب فى ثلاثة أشهر إذا لم يجد له القارئ المناسب، وموقف الشعر مختلف لأن جمهوره أقل، أما الرواية فهى تجتاح السوق.

• ماذا تتمنى للكتاب ليصل إلى المستوى المطلوب ؟

– ما يحدث فى عالم النشر يستحق التركيز، فهناك ناشرون جدد وصغار يستحقون منا كل الاهتمام فى باريس والأرياف، وهم غالبا

من الكتاب والشعراء، وأعتقد أن هـذا النشاط الجديـد سوف يحـدث نوعاً من التوازن فى مواجهة مشكلة المركزية، فإن هناك دائماً العمالقة الذين يجتاحون الأسواق، والنوعية الجيدة تتحدد مـن خـلال أسلـوب الإنتاج، وهناك ظاهرة جديدة وهى ظهور كتاب من بلاد أخرى، فقد أصبح القارئ يهتم بكتاب العالم مثل نجيب محفـوظ وغيـره.

يناير ١٩٩١

متى تتحد القارة الأفريقية ؟

عمر مايجه

فى أثناء إنعقاد اتحاد الصحفيين الأفارقة الذى أقيم أخيراً بالقاهرة التقيت بالدكتور «عمر مايجة» عضو الاتحاد الوطنى بجمهورية مالى، والذى جاء يمثل بلاده ضمن برنامج نظمته الأمم المتحدة من أجل البيئة، وتحت شعار إعلام وتنمية، وأنا استعيد سنوات الدراسة التى جمعت بيننا بجامعة السربون بباريس سألت «عمر مايجة» عن مسألة عقد المؤتمرات والندوات، وهل ينتهى العمل دائماً بالإنجازات الفعلية والعملية، فرد قائلاً:

– أنت تثيرين مسألة ملحة حقيقة أننا تعودنا فى الكثير من الأحيان أن نعقد المؤتمرات والندوات، وتتعدد اللقاءات حيث تعرض وتناقش المشكلات ثم بعد ذلك ينتهى كل شىء ولا يحدث نوع من المتابعة لضمان تنفيذ التوصيات، ولكن فى هذا اللقاء الأخير الذى تم فى القاهرة كنا حريصين وواعين تماماً لتلك النقطة بالذات، فعملنا على إيجاد علاقة وثيقة بين النظرية والمبادئ، وبين النظرية والتطبيق.

• ما هى الحلول الفعلية التى اتخذت، وما موقف اتحاد الصحفيين الأفارقة تجاه العديد من المشكلات التى تواجهها القارة الأفريقية ؟

– فى هذا النوع من اللقاءات الدورية يتم اختيار أعضاء اللجان المختلفة من بينها لجان المتابعة التى تتولى عملية التوصيات، أما فى نطاق الاتحاد فهناك عملية دائمة لمتابعة سير الحركة التى تسمح بالفحص الدورى حتى نتمكن من تنفيذ البرامج المختلفة، فإننا الآن فى مرحلة تنفيذ الحلول التى اتخذها واتفق عليها بالفعل، ولأن أوجه الصراع متعددة، فهناك مثلا مشكلة حرية الصحفيين، لذا فموقف الاتحاد الأفريقى واضح بهذا الشأن، ونحاول أن نسمع أصواتنا للاتحادات الوطنية لحقوق الإنسان حتى يسهروا على ضمان حرية وصول المعلومات، الشىء الذى يتطلب حماية كاملة للصحفيين وضماناً لحماية كل العاملين فى ميدان الإعلام.

• ماذا تقول عن الغرب الذى يعمل الآن جاهداً على الاتحاد فيما بينه، بينما نحن فى أفريقيا ليس لدينا على الأقل سوق أفريقية مشتركة ؟

– إنك تلمسين فى الواقع مشكلة أساسية، كيف يمكن لك أن تفسرى مثلاً أن دولة مثل ألمانيا التى تعتبر ثالث أو ثانى قوة اقتصادية عالمية قد شعرت بضرورة، ليس فقط الإنضمام للسوق الأوروبية المشتركة، ولكن الأخطر من ذلك هو اتحاد ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية، لماذا؟ يمكن أن أقول إن الأسباب بسيطة للغاية، وهى أن ألمانيا قد أدركت أنه بفضل الفقراء استطاعت هى أن تحتفظ باقتصادها، أما الآن فقد أصبحت فى حاجة إلى سوق أكبر من السوق الألمانية،

فشعرت بالحاجة الملحة إلى إلغاء الحواجز الجمركية والحاجة إلى حرية حركة الأفراد، وانتقال رءوس الأموال، فإذا كانت الدول الأوروبية وبما نعرفه عن مستواها فى التنمية الذى لا يقارن بالواقع الاقتصادى لأفريقيا، وقد شعرت بضرورة تحطيم الحدود، بضرورة اتساع نطاق تعاملاتها بضرورة ضمان حرية الأفراد والأموال، فهذا يعنى فى المكانة الأولى أن المشكلة ملحة.

وبما أننا بصدد الحديث عن أفريقيا، نجد أن مصانع المنسوجات متوافرة فى مصر والسودان ونيجيريا، ولكن هذه المصانع تعمل لأى أسواق، فالمنطق يفرض أن دولة مثل مصر يجب أن تتخصص فى إجادة نوع من المنتجات مثل الأقمشة مثلاً، ودولة أخرى تتولى تصدير المأكولات المحفوظة، وهكذا حتى نضمن كفاية السوق الداخلية أولاً أى السوق الأفريقية، وبينما الغرب يواصل اتحاده فإننا نزداد تمزقاً وإنقسامية، وإذا استمر الحال على هذا الشكل فإننا الخاسرون، ولن تخرج أفريقيا أبداً من أزمتها، لذا فإن الطريق الوحيد أمام أفريقيا، هو أن تتحد، أن تزيل الحدود، فأنا لا أتحدث فقط عن اقتصاد مشترك، ولكن أقصد سياسة مشتركة أيضاً، انظرى إلى كل الدول الكبرى، دولة مثل الولايات المتحدة تضم كم ولاية؟ ودولة مثل الاتحاد السوفييتى تضم كم ولاية؟ ومساحتها تبلغ كم متراً مربعا؟ فهذه الدول نمت وتطورت على أسس الاتحاد والوحدة السياسية والاقتصادية، فليكن هناك نوع من التحالف الاتحادى، تحالف لدول المغرب، تحالف لأفريقيا الوسطى، فهذه يمكن أن تكون أسساً سياسية هامة

فى الطريق إلى الوحدة المتكاملة. على كل أنا ما زلت متفائلاً، فإن بداية عام ٢٠٠٠ سوف يتأكد هذا الاتحاد سواء أراد الزعماء أو لا..

فإن إرادة الشعوب سوف تتحقق حتماً لأن التقسيم داخل قارة أفريقيا هو تقسيم استعمارى قديم، خطط له فى لندن وباريس، لهذا فهو تقسيم دخيل لم تفرضه الظروف الطبيعية للبيئة، فعلى الزعماء الحاليين أن ينتبهوا لهذه الحقائق وعلينا نحن الشباب أن نتأمل الوضع جيداً، وأن نضع حجر الأساس لاتحاد أفريقى، فهل يعرف الناس مثلاً أنه لا يوجد خط جوى مباشر يربط بين أى دولة أفريقية والقاهرة، ولكن لابد من المرور بإحدى العاصمتين الأوربيتين إما لندن أو باريس ونفس الشىء بالنسبة للوسائل السلكية واللاسلكية، فكل الاتصالات الدولية يتم تحويلها إما عن طريق فرنسا أو إنجلترا أو الولايات المتحدة، فكل هذه المشكلات لابد أن تؤخذ فى الاعتبار، ولابد أن نكون جميعاً بحجم المسئولية، فالضرورة الملحة لاتحاد القارة الأفريقية تفرض نفسها لكن لا ينقصها إلا إرادة سياسية قوية.

• متى أنشئ اتحاد الصحفيين الأفارقة ؟

– أنشئ الاتحاد منذ عام ١٩٦٤ ، وقد أسس بواسطة اتحادات ونقابات الصحفيين، وهناك بعض المشكلات بسبب الدول التى لم تسدد اشتراكاتها، مثل نيجيريا، والغريب أن العديد من الناس فى مصر لا يعرفون بوجود هذا الاتحاد العضو فى الاتحاد العالمى، فهذا الاتحاد يلعب دوراً هامًّا بالنسبة للتقارب العالمى بين الشعوب.

• تحدثت عن فكرة الحاجة إلى دماء جديدة، ماذا تقول عن الشباب الذى لا يجد له مكاناً اليوم بسبب تمسك الكثيرين بمراكزهم؟

– أعتقد أنها المشكلة التى تعانى منها كثير من الدول اليوم، إنها أزمة العثور على الوظيفة أو مشكلة البطالة وخاصة فى أوروبا، وبعض الدول حاولت الخروج من هذه الأزمة إما عن طريق خفض سن المعاش أو استخدام جزء من أموال الضرائب فى خلق فرص جديدة للعمل، مثل إقامة المشروعات الكبيرة، لكن أمام التحدى الذى يواجه القارة الأفريقية نحن فى حاجة إلى استخدام كل هذه الطاقات الشابة، خاصة بعد هذا الانفتاح الديمقراطى الذى يتطلب من الشباب مشاركة فعلية، فيجب ألا ننسى أن ٥٠٪ من مجموع سكان القارة الأفريقية من الشباب، إنهم مستقبل أفريقيا، فلا يمكن أن يحدث أى تطور فعلى بدونهم.. وعلى أفريقيا أن تعتمد أولا على منابعها الإنسانية التى تعتبر أولى ثرواتها الحقيقية.

• هناك عقلية تقليدية تحكم على مستوى الأفراد وقدراتهم من خلال سنوات العمر، بينما فى الغرب نجد أن كل المراكز العامة يشغلها الشباب، انطلاقاً من فكرة أن مرحلة الشباب هى أحسن سنوات العطاء، فى أفريقيا يحدث العكس لماذا ؟

– نعم.. إنها مشكلة الحواجز التى يجب أن نتخطاها، أولاً الكهولة هى كهولة العقل والشباب هو شباب العقل، فالمسألة تتعلق بسلوك

الذهن، بمعنى أننا قد نلتقى بشباب يحملون مشاعر العجائز وقد يحدث العكس أيضاً.

● فى كل مرة تحاول أفريقيا الاتحاد، يتصدى لها الغرب، ألا ترى أن من مصلحته الوقوف أمام هذا التآلف ؟

– هذا أمر مؤكد لكن لا يعتبر الغرب هو المانع الوحيد، فكيف نطلب من الآخرين أن يهتموا بمصلحتنا، فالغرب يفكر فى نفسه أولا، فعندما تقبل أفريقيا سياسة الإنقسامية فى مواجهة المشكلات مثل مشكلة القضية الفلسطينية، مشكلة جنوب أفريقيا والعديد من المشاكل الأخرى، ويجب ألا ننسى أن الغرب قاوم فكرة استقلال العديد من الدول الأفريقية، فقد عمل دائماً على تقسيم القارة إلى دول صغيرة. وعلى أفريقيا اليوم أن تتحلى بالشجاعة السياسية لتواجه هذا الوضع حتى ننقذ ما يمكن إنقاذه.

● هل هناك ما يشغلك وتريد أن تضيفه ؟

– أعتقد أن ما يحدث مؤخرا بالكتلة الشرقية يستحق كل الإهتمام، فكلنا يعرف أن للغرب مصالح تاريخية، ثقافية واقتصادية مع دول مثل بولندا، بلغاريا، المجر، تشيكوسلوفاكيا وأفريقيا، وهذا يعنى أن حجم المساعدات سوف يوزع على العديد من الدول، الشىء الذى يتطلب من القارة الأفريقية أن تتحمل مسئولياتها، فالعالم أصبح مقسماً إلى دول غنية مثل اليابان، الولايات المتحدة، الصين، فرنسا، ثم هناك الجانب الآخر وهم دول العالم الثالث، وأعتقد أنه قد آن الأوان لنقلب

هذا الوضع فالغرب الذى يتحدث عن حقوق الإنسان هو نفسه الذى يدعم سياسة جنوب أفريقية العنصرية، ما يحدث فى شيلى، برجواى. فإلى متى يمكن للغرب أن يستغل نوعاً معيناً من الأفراد لتحقيق أغراضه ومصالحه، ويجب ألا ننسى ما حدث أخيراً فى بناما، وكيف ساندت أمريكا «نوريجا» ألم يحن الوقت بعد لتستفيد أفريقيا من كل هذه الدروس؟ دروس حقوق الإنسان، دروس حقوق الشعب، فالغرب يقف دائماً خلف الحكومات الديكتاتورية، والمسئولية اليوم تقع على عاتق الأفارقة أنفسهم وليس الحكومات وحدها، فبعد أن قام الغرب بدوره على الوجه الأكمل ومنذ سنوات، على أفريقيا أيضاً أن تنهض من جديد.

يناير ١٩٩١

فهرس

صفحة

صفحة

رقم الإيداع	١٩٩٣/٣٤١٥
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-4027-3

١/٩٢/١١٠
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)